ثانيًا: أبحاث

لم تُلــقَ في المؤتمر

التعريب : دائرته وأبعادها

للأستاذ على رجب المدني

أسعدني رئيس مجمعنا الجليل إذ تفضل فضمَّن رسالة دعوتي للحضور تعبيرًا عن سعادته بأن أُعد بحثًا أُسهم به في الموضوع الرئيسي لدورة هذا العام وهو (التعريب) .

وما ذلك إلا لأن هذا الموضوع يمثل بالنسبة لي (الحلم) الذي ما برح - منذ ما يزيد عن نصف القرن - يحتل الجزء الأوسع من اهتمامي وإيماني باتصاله بكل القيم التي تشكل التزامنا حيال عقيدتنا وحضارتنا، وكرامتنا، ودفاعنا عن الصرح الحضاري الذي شيده أسلافنا .

إنني أعلم من مفهوم التعريب المراد منا أن نتحدث في إطاره، أنه يتركز في بحث أنجع الوسائل وأيسر السبل التي تمكن من استيعاب أجيالنا الحاضرة واللاحقة لما استجد من علوم على أيدي حضارات (أملت عليها شهوة الانفصال عن المنبع، وشهوة المنافسة والثأر والاحتواء والغلبة المادية والانتشار) أن تقيم هذا الصرح العلمي المادي الذي نشاهده والذي يقوم في معظمه على أسس من معارف أبرزها أسلافنا في عصور النهضة الإسلامية التي شيدوا أركانها وخلفوا معالم مجدها (مع تجاهل أولئك في الكثير الأكثر واعتراف في القليل الأقل بتلك الحقائق والأسس).

إنني لا أريد أن يفهم أحد أني أنطلق هنا من مفهوم الدفاع عن أمجاد قديمة اختصنا بها التاريخ الإنساني ؛ لأنني لم أنطلق يومًا فى تفكيري ورؤيتى إلا من منطلق إيماني بوحدة الأسرة الإنسانية، تلك الوحدة التي تستبعد فضل (عربي على أعجمي إلا بالتقوى) ، والتي تقوم على مفهوم الأب الواحد والأم الواحدة، كما يَبِينُ من أبحاثي السابقة والأسانيد التي أوردتها في هذا المجال من القول (مما لا أرى داعيًا لتكراره هنا) ، غير أني أحب أن أضيف في هذا الصدد إلى ما

سبق أن قلته بعضًا مما لم أقله، من شأنه أن يضع نقطًا على بعض الحروف ويبدأ خطوة (لا يحسن تجاهلها) في طريق (الألف ميل) التي ستنتهي إلى إدراك حقيقة تُعرِّف الإنسان (في كل مكان) بجوهر العربية ، وما إذا كانت لغة أو منتمى عرقيًا ، وتصنيفها كمصدر لما توالد في محيط الأسرة البشرية من لغات ولهجات منذ آدم عليه السلام .

إن الاستقراء الواعي والمتأني والبعيد عن كل المؤثرات الخارجة عن نطاق (البحث العلمي المتجرد) سوف يصل بالإنسان إلى إدراك الحقيقة ناصعة خالية من الزيف وبعيدة عن التضليل .

وإن ضرورة التحديد والتركيز لتقضي (من وجهة نظري) بتجزئة الموضوع إلى عناصر يتم تناول كل منها في بند مستقل يمكن من الإحاطة بأبعاده.

ولذا فقد رأيت أن أضمن هذا البحث بنودًا، أحاول في كل منها الإجابة على سؤال من الأسئلة التالية:

١)ما هي اللغة التي تخاطب بها أبو البشر الأول (آدم عليه الصلاة والسلام) مع زوجه وبنيه وأحفاده؟

٢)هل القومية العربية تقوم على وحدة اللغة أو الانتماء العرقي ؟

٣)هل اللغة العربية لغة كسائر اللغات أو أن لها (من وجهة نظر تاريخية وروحية) تميزًا عالميًا يضعها في مركز التفرد والمصدر لغيرها من اللغات؟

٤)هل صحيح أن اللغة العربية تفردت في مرحلة من التاريخ (اعتورها الجزر والمد) بمركز الصدارة والريادة في مجالي العلوم والحضارة الإنسانية ؟

إن هذه الأسئلة الأربعة هي (بين العديد من الأسئلة المتصلة بها) أهمها وأحدرها بالتركيز عليها في هذا البحث على الأقل .

وإن الإجابة عليها ستتكفل بتأكيد حقيقة أن التعريب لا يعني

فقط أن نُعَرِّبَ ما لدى الآخرين مما نحن في حاجة إليه لمسايرة ركب الحضارة المعاصرة ، وإنما يجب أن نميط القناع عن وجه الحقيقة التي ستخاطب العقل الإنساني والضمير الإنساني بما يستهدف العودة إلى وحدة الجذور التي انطلقت منها شجرة أبناء آدم وحواء الوحيدة الفريدة ، والتي لا تسمح تلك الحقيقة بأن تنافسها شجرة غيرها في كوكبنا لتقسيم البشر إلى أكثر من قومية ومُنتَمى .

وإني لألتمس العون من الله وحده في محاولتي الإجابة على كلٍّ من الأسئلة الأربعة :

إن أهم تلك الأسئلة وأدعاها للجدل والاختلاف إنما هو السؤال الأول الذي أخشى ألا يدع واقع الإنسان المعاصر مجالاً للاقتناع بمضامين إجابتي عليه ، إلا إذا تحقق له قدر من الاهتمام الجدي يجعله موضوع حوار عقلي منفصلاً عن نوازع العاطفة والأثرة ! ... منطلقًا في تجريد مطلق إلى آفاق البحث العقلي الصادق في أعماق التاريخ؛ للتعرف على أهداف الوجود الإنساني السامية فوق هذا الكوكب في اقتناع، ومحاولة إقناع وتحرر من قيود الذات العامة والخاصة .

إن الاعتراف الإيماني الذي تلتقي حوله مختلف المعتقدات الإنسانية بحقيقة المعجزة في خلق الإنسان الأول (آدم عليه السلام) الذي أراد الله أن يكون وزوجه المصدر لما بث منهما من رجال كثير ونساء ما برحوا يتعاقبون ويخلف بعضهم بعضًا فوق هذا الكوكب ، هذا الاعتراف يقتضينا أن نعترف أيضًا بأن اللغة التي أخذ يُعرب بها آدم (أي يفصح ويبين كما تقول القواميس) عما في نفسه في مواجهة حواء زوجه أولاً ، ثم في مواجهة ما رزقه من بنين وحفدة وما تعاقب بعد هؤلاء من خليقة ، إنما كانت (أي تلك اللغة) هي العربية

التي لا تعني تسميتها سوى الإفصاح والإبانة .

وما اسم آدم (حسبما تعرفه قواميس العربية) إلا الكلمة العربية الأولى التي اقترنت بخلق آدم عليه السلام.

فالأُدْمَةُ في العربية السُّمْرَةَ ومنها أَدُمَ فهو آدم ، وهو الاشتقاق الذي اختاره الله اسمًا لأبي البشر دالاً على ما اتسم به من سمرة تعاقبت كلون غالب على بنيه من بعده تلاؤمًا مع طبيعة الحياة على كوكب الأرض التي تجعل من اللون الأسمر أكثر الألوان انسجامًا مع تلك الطبيعة .

وإذا كانت أول كلمة اقترنت بخلق آدم عربية كما نرى ، فأحرِ بما تعاقب بعدها من مفردات تُعرِب (أي تفصح وتبين) عما يقصد ناطقها ، أن تكون هي اللغة العربية أيًّا كان تركيبها وكيانها اللفظي، وما دخل عليه من تطوير وتغيير حتى عصر الملك نمروذ الذي يروي التاريخ أنه أول عصر بدأت فيه اللهجات واللغات تتعدد وتنتشر، تبعًا لانتشار الإنسان وتعدد ألوانه ومشاربه وأنماط حياته وتباعد مواقع تجمعاته .

وإذا رجعنا إلى العديد من مصادر التاريخ كالبداية والنهاية لابن كثير، وموج الذهب للمسعودي، وبعض دوائر المعارف والموسوعات التي لا نرى أن نطيل بسرد نصوصها، فإننا نجد فيها ما يؤكد، حقيقة، أن اللغة العربية هي اللغة الأولى التي تكلمها آدم وذريته إلى ما بعد الطوفان وحتى عهد (نمروذ)، كما سبق أن أشرت ، وما على من يبتغي التأكد مما أقول إلا أن يتقصَّى تلك المراجع ، فسوف يجد فيها ما يؤكد أن آدم لم يقتصر على نطق العربية نثرًا وإنما نظمها شعرًا عربيًّا يرثي به ابنه هابيل عليه السلام، وأن أبياتًا من الشعر العربي أيضًا وُجدت مكتوبة على قبر أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام .

أخلص من هذا التحليل إلى القول بأن الله حين خلق آدم اختار له العربية لغة بدأها باسمه ثم بما علمه من أسماء : (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) الآيتان ٣٠ - ٣١ من سورة البقرة .

وليس ثمة ما يحول دون أن نؤسس رؤيتنا على أساس من الاعتقاد بأن النصوص القرآنية (في مختلف الأحداث التي تحدثت عنها) إنما أوردت النص العربي الذي استعمل في تلك الأحداث (وليس ترجمة له) .

وعندما يستقر إيمان المؤمنين على ما ذهب إليه العديد من كبار أئمة الإسلام، كالإمامين البخاري وأحمد ابن حنبل، منَ أن القرآن (قديم قدم الله) فإننا لا نملك إلا أن نعتقد أن العربية (كلغة) قديمة قدم الله أيضًا إذ أن خصوصية القرآن (بين ما يسند لله من قول) تجعلنا نعتقد أن الله قد صاغه منذ الأزل بلسان عربي مبين، وليس بنافٍ لهذا أن يكون الله قد أنزل كتبًا بلغاتٍ من أنزلت إليهم، بعد أن انتشرت لغات غير العربية، فاقتضت أن يُرسل إليهم الرسل بألسنتهم ليبينوا لهم ؛ ولا يستقيم أن يقال: إن الله قد نقل القرآن إلى العربية، عندما بدأ إنزاله على محمد؛ لأن إعجازه إنما ينبعث من نفحة النطق الإلهي بنصوصه .

ولأن العربية التي آثرَهَا الله بصفتي الإعراب والإبانة،وأنزل بها القرآن على محمد لتكون لغة الخطاب للناس جميعًا والرباط الذي يربطهم بآصرة الآخرة الإيمانية في الرسالة الخاتمة، وضمنها نصوصًا لأوجه حوار دارت بينه وبين الملائكة، وبينه وبين آدم، وبينه وبين إبليس، ثم بينه وبين العديد من الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ، بل وبينه وبين غير البشر من خلقه كالأرض والسماوات ،

هذه اللغة لا يمكـــن أن يكـــون الله قـــد آثر عليها لغة ســـبقتها، أو لحقتـــها، ولا يمكن إلا أن تكون لغـــة الله الأولى .

ولئن كانت اللغات واللـــهجات قـــد أخذت تنتشر وتتعدد منذ عـــهد نمـــروذ كما أسلفنا، فإن ذلك لا يصلـــح دليـــلاً ولا سببًا لنفي حقيقـــة أن اللغـــة الأولى والأم هـــي العربيـــة، ولنـــا أن ندعـــم اعتقادنا هذا بالدعائم التاليـــة :

أن الشعوب الـــتي ظـــهرت إثـــر الطوفان إنمـــا هـــي الشـــعوب العربيـــة المتمثلة في عاد وثمود وطســـم وجديـــس والعمالقـــة ، وهـــي الشـــعوب الـــتي أفرزت ما بعدهـــا مـــن شـــعوب ذات لهجات ولغات متعددة بقدر مـــا طـــرأ عليها من تشتت، وما باعد بينـــها مـــن مسافات ، مما يؤكد أن إبراهيـــم عليـــه السلام وقومه إنما كـــانوا امتـــدادًا لهـــا، احتفظوا بالكثـــير مـــن نصوصـــها، ثم تلاحقت مـــع القحطانيـــة (في قصـــة جرهم المشهورة) على عـــهد إسمـــاعيل ابنه – عليه الســـلام – الـــذي تعـــده بعض مصادر التـــاريخ الـــتي أشـــرت إليها، أول من حقق للعربية" التـــهذيب الأول " من مراحل التـــهذيب الثلاثـــة حسبما أوردته دائـــرة معـــارف القـــرن العشرين في الجـــزء الســـادس صفحـــة ٢٨١ من الطبعة الثالثة الصـــادرة ســـنة ١٩٧١ م عن دار المعرفة(بـــيروت).

وما أظن شيئًا ممـــا أورده القـــرآن من حوار بينه، وبين الملائكـــة في قصـــة خلق آدم، وما لحقه مـــن حـــوار معـــه ومع إبليس وآدم وأهله وبنيـــه، ثم بـــين نوح وقومه، وهـــود وقومـــه، وصـــالح وقومه، وإبراهيم وقومه، وبينـــه وبـــين ابنه إسماعيل،وما كان منهما مـــن دعـــاء مشترك لله ، قد كان بغير اللغة العربيـــة التي ارتضاها الله لغة لخاتم كتبه الموجـــه إلى جميع البشر في النبوة الخاتمـــة.

ولا يفوتني أن أشـــير هنـــا إلى مـــا أورده المســـعودي بـــالجزء الأول مـــن كتابه (مروج الذهـــب) طبعـــة ١٩٨٣ الصادرة عـــن دار الأندلـــس، وذلـــك بالصفحة (٥١) فما بعدهـــا ممـــا يلـــي نصـــه:

" ونزل نوح من السفينة ومعه أولاده الثلاثة وهم: سام، وحام، ويافث وكنّاتُه الثلاث أزواج أولاده، وأربعون رجلاً وأربعون امرأة ، وصاروا إلى سفح الجبل فابتنوا هنالك مدينة وسموها ثمانين" ... (وهو اسمها إلى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة للهجرة) واندثر عقب هؤلاء الثمانين نفسًا ، وجعل الله نسل الخليقة من نوح من الثلاثة من ولده، وقد أخبر الله عز وجل بذلك بقوله :" وجعلنا ذريته هم الباقين " الآية٧٧ من سورة الصافات والله أعلم بهذا التأويل. انتهى المسعودي .

وأهم ما يعنينا من هذا الاقتباس من مروج الذهب أمر الثمانين واستعمال عددهم اسمًا لمدينتهم مما يلقي الضوء على حقيقة أن العربية كانت هي لغتهم، وحقيقة أن كل ما ورد من خطاب نوح عليه الصلاة والسلام لقومه وابنه يَام ودعائه لربه، إنما كان بالعربية التي كانت لغته ولغة قومه:

" فإن توليتم فما سألتكم عليه من أجر إن أجري إلا على الله ، وأمرت أن أكون من المسلمين " الآية ٧٢ من سورة يونس . (من خطاب نوح لقومه)

" ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين".الآية ٤٢ من سورة هود .

ومن منطلقنا هذا لن نكون راكبي شطط، لو قلنا واعتقدنا أن كل حوار ورد في القرآن بين الله ورسوله وبين أولئك الرسل وأقوامهم، إنما تم بنفس النصوص العربية التي أوردها القرآن، وإن استعمال بعض أولئك الرسل وشعوبهم لبعض ما استجد من لغات،منذ عهد الملك (نمروذ)، الذي امتد ملكه خمسمئة سنة ، في مخاطبة أقوامهم لا ينفي بالضرورة أن أولئك الرسل وبعض من أرسلوا إليهم قد ورثوا العربية بالقدر الذي يسَّر لهم استيعاب مضامين تلك النصوص، واستعمال ما استعملوه منها مما لا

يشكل منافاة لمضمون قوله تعالى " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم". الآية ٤ من سورة إبراهيم .

وإذا كان التبيين إنما يعني الشرح والإيضاح فإن نفي المنافاة يتأكد .. ولا يبقى من تعارُض أن تكون تلك النصوص القرآنية استعملت بنصها، وأن تكون الألسن واللهجات الخاصة قد استخدمت في النطاق الأوسع من الإيضاح والشرح والتبيين.

حضرات الزملاء الأجلاء :

إنني أتجنب الإطالة عليكم بالاكتفاء بهذا القدر من الإجابة على السؤال الأول تاركًا لحضراتكم (بما تميزتم به من سعة الاطلاع بالقدر الذي قد يزيد على ما تيسر لي) أن تضيفوا ما ترون في هذا المجال من القول ؛ وأمضي مستعينًا بالله للإجابة على السؤال الثاني :

ولابد لنا قبل أن نمضي في الإجابة على هذا السؤال من أن نورد عددًا من النصوص القرآنية والنبوية التي نستند إليها فيما نعرضه من رؤية وتحليل :

" نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين " إلى آخر الآيات ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ من سورة الشعراء.

" الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا وأجدر ألاّ يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم " الآية ٩٧ من سورة التوبة " .

" ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرمًا ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم" الآية ٩٨ من سورة التوبة ".

ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم ".الآية ٩٩ من سورة التوبة

حديث : " ليست العربيـــة في أحدكـــم من أب أو أم وإنما هي لســـان ، فمـــن تكلم العربية فهو عـــربي".

حديث : " تعلموا العربيـــة وعلموهـــا الناس فإنها لسان الله يوم القيامـــة ".

حديث خطبة الوداع :" أيـــها النـــاس إن ربكـــم واحـــد وإن أبـــاكم واحـــد، كلكـــم مـــن آدم، وآدم مـــن تراب، لا فضل لعـــربي علـــى أعجمـــي إلا بـــالتقوى، إن أكرمكـــم عنـــد الله أتقـــاكم".

دلالات هذه النصـــوص

إنه لغني عن التأكيد (الـــذي إنمـــا يدفع إليه عادة شـــك المخـــاطب) أن نقول إن العربية ليســـت إلا لســـانًا أراد الله له في المدى الأقصى لتقدم الإنســـان ووعيه واستيعابه لمضامين الكتاب الـــتي اتخذها الله لســـانًا لـــه، أراد أن يتطـــور على نحو متدرج كرباط قومـــي يتســـع حتى يشمل جميع الناس الذيـــن يحملـــهم هـــذا الكوكـــب ؛ فتتحقـــق إذ ذاك المشيئة العلوية التي اقتضـــت أن يكـــون كل بني آدم وحواء الأســـرة الإنســـانية الكبرى، التي تحدثت عنها الآيـــة الأولى من سورة النساء وضمنتها حديثًـــا عـــن الأرحام مطالبـــة إيـــاهم أن يتقـــوا الله فيها .

وإنما تنطلق قوميتنا العربيـــة (الـــتي نعتز بها اعتزاز الرائد بريادته) مـــن هـــذا المضمون، الذي لا يقيم وزنًـــا لمفـــهوم الأعراق، والمنتميات العرقيـــة، والقبَليَّـــة والعصبية قـــدر مـــا يقيمـــه مـــن وزن لقومية اللسان الـــتي تتكفـــل وحدهـــا بتيسير التخـــاطب (والتعـــارف الـــذي جعله الله السبب الأوحـــد لمـــا جعـــل عليه البشر مـــن شـــعوب وقبـــائل) : (يأيها الناس إنا خلقنـــاكم مـــن ذكـــر وأنثـــى وجعلنـــاكم شـــعوبًا وقبـــائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقـــاكم " الآية ١٣ من سورة الحجـــرات.

. فالقوميـــة الحـــق الـــتي أراد الله أن تكون الإطار الإنساني للبشـــرية كلـــها، إنما هـــي (قوميـــة العربيـــة) كلســـان يجمعـــها ويتيـــح لفرقائـــها التعـــارف،

والتآلف، والتعاطف، والعمل للخير المشترك بعاطفة العرق الواحد المنحدر من آدم وحواء عليهما السلام ؛ ذلك العرق الذي لا يستبيح قطعه أو توزيعه إلى أعراق تتعارض وتتساقط إلا أولئك الذين يسعون لأن يقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ويفسدوا في الأرض .

وإذا تلمسنا الأدلة والإشارات إلى حقيقة ما تقدم فما علينا إلا أن نقف عند الحكمة الإلهية، التي جعلت القرآن ينصرف عن تمجيد الأعراق والقوميات ولا يتحدث عن خاتم أنبيائه ورسله للناس جميعًا إلا بما يتصل بصفات الكمال الخُلُقيّ دون أن يذكره بانتمائه العربي لأنه بُعث للإنسانية كلها كعظيم من عظمائها الذين يرتفعون فوق نعرات الجاهلية وتبجحها بالأنساب والأعراق ؛ بل إنه آثره بأن يكون من ذرية إسماعيل الذي تنتمي إليه العرب المستعربة حتى لا تدعى العرب العاربة تميزًا لها بانتمائه إليها على نحو يشعر تحسسًا أو نقصًا لدى من ليسوا من العرب العاربة ؛ ولقد أضاف إليه تشريفًا جعله ينحدر من أزكى ثلاثة دماء عرفت في المنطقة الوسطى التي اختارها الله موطنا (للأمة الوسطى)، مما يؤكد تميزه وأهليته لأن يكون رسولاً للإنسانية كلها وفق ما أراد الله له ، وما كان اعتزازه الدائم بالانتماء لقريش التي كانت تمثل في معظمها ذلك المزيج الطاهر الزكي من الدماء الثلاثة إلا ليؤكد على حقيقة ما ذكرنا من أنه رسول الإنسانية كلها الذي لا تحكمه عصبية الانتماء إلى عرق بعينه من شأنه أن يدعى التميز على غيره من الأعراق ؛ ولذا فإنه استعاض عن استعمال وصف (العربي) بوصف (المؤمن)، و لم يكن من بين تعاليمه شعار (العربي أخو العربي)، وإنما كان شعاره الأوحد (المؤمن أخو المؤمن) ومضى في توسيع دائرة القرابة بين مختلف

الانتماءات إلى الحد الذي جعله يقول عن سلمان (الفارسي أبًا وأمًا) : "سلمان منا أهل البيت "متجاهلاً كل ما يفصل الإنسان عن أخيه الإنسان مما اصطلح الناس قديمًا وحديثًا على الاعتداد (بل والاعتزاز) به .

ونزل القرآن العظيم ليقول: " لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضوا عنه، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون " الآية ٢٢ من سورة المجادلة .

وغني عن الإيضاح ما تنوه به هذه الآية من قومية الإيمان وإخراج الآباء والأبناء والإخوان والعشيرة من دائرتها، إن كانوا يحادون الله ورسوله. أما مغايرونا في العقيدة الذين لا يتسمون بهذه السمة العدوانية في مواجهة الله ورسوله والمؤمنين، فإن الله لم يستنكر علينا أن نبرهم، ونقسط إليهم، ونحترم جوارهم. وحقوقهم الإنسانية ولو لم تصلنا بهم تلك القرابة الوشيجة .

" لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهرو على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون" الآية ٨ ، ٩ من سورة الممتحنة .

وفي هذا تأكيد على حقيقة أن سماحة الإيمان لا تسمح للمؤمن بأن يتخذ من العداء والعدوان سلاحًا على من لا يتفق معه في العقيدة ، وأن حقه مقصور على ردّ ما يقع عليه من عدوان، وما ذلك إلا لأن تعاليم القرآن وحدها كفيلة (وهي تخاطب

عقل الإنسان ووجدانه) بأن يستأصل من صدره شأفة الحقد، وتستميله إلى سبيل المحبة والتعاطف والتعايش، حتى مع من يختلف معهم في الرأي أو العقيدة أو من يستشعر منهم عداوة له .

" ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم" الآيات ٣٣، ٣٤، ٣٥ من سورة فصلت .

نخلص في الإجابة على السؤال الثاني إلى القول بأن العربية (كلغة) هي في ذاتها منتمًى قومي بدأت دائرته ضيقة حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم بدعوة القرآن لتفتح بابها؛ كي تتسع وتتدرج في اتساعها إلى الحد الذي يجعلها لغة الناس جميعًا، وقومية الناس جميعًا مستمدة تميزها هذا مما أوردنا من حقائق تصُبُّ في حقيقة واحدة هي أنها (لغة القرآن) الذي أنزِل للناس جميعًا باعتبارهم أبناء أسرة كبيرة مترامية الأطراف ينحدر أبناؤها جميعًا من أب واحد هو آدم، وأم واحدة هي حواء ، وما كان لرباط من هذا القبيل أن يتسع للعديد من القوميات والأعراق والعصبيات، ويتجاوز قدسية الرحم الواحدة ، أيًا كانت فوارق الرأي والمعتقد .

أما السؤالان الثالث والرابع، فيحسن بنا أن نجيب عليهما بجواب واحد لما بينهما من ترابط وتداخل في المنطلق والغاية .

ولعلي أعفي نفسي والزملاء الذين يتفضلون بالصبر الجميل على سماعي من الاستطراد والإطالة عندما أقول إن التمييز التاريخي والروحي الذي تحدث عنه السؤال الثالث يبدو واضحًا من التحليل الذي أوردته في الإجابة على السؤالين الأول والثاني،

على نحو لا يتطلب مزيدًا من التأكيد على تميز العربية تاريخيًا وروحيًا مما يؤكد أن الإجابة على السؤال الرابع إنما تستقي إيجابياتها مما برز من مجموع المزايا والمؤشرات التاريخية والروحية، وما تعالت به أصوات المنصفين، من علماء الغرب والشرق ممن لا تربطهم بالعربية رابطة، من اعتراف واضح وصريح ومنصف (في العديد من مصادرهم) بالدور الفعال الذي أدّته النهضةُ العلمية العربية في العصور الوسطى للحضارة الإنسانية، مما أدى إلى الأخذ بأيدي غير العرب من الظلمات إلى النور آنئذ؛ وأهَّلَ أحفادهم وأصحاب إرثهم لأن يستردوا من الحضارة المعاصرة دينًا لأسلافهم يضاعف شجاعتهم على أن يقتحموا ميدانها بعزيمة صاحب الحق، الذي ينهض من كبوته ليسترد مكانه بين الآخرين الذين استمدوا جُلّ أسس حضارتهم السليمة من ميراث أجداده، وهو الميراث الذي انتزعوه من خلال غارات ظالمة استباحوها لأنفسهم؛ لاستلاب ذلك الميراث من أهله الشرعيين ، ثم التآمر لعزلهم عن نتائجه والحيلولة بينهم وبين التقدم العلمي الذي يمكنهم من أن يقفوا أندادًا لهم وشركاء مرفوعي الرأس، ويُحولوا دون أن تستباح بلادهم وثرواتهم؛ لينعم الغاصب بلبابها، ويترك أهلها يتمرغون في القشور .

سادتي الزملاء الأجلاء :

آن لي أن أتلمس سبيلي لإنهاء هذا البحث ببعض الآراء والمقترحات، التي آمل أن تحقق إضافة إلى ما تتفضلون بإصداره من قرارات، تستهدف تحريك قطارين للتعريب يسيران متوازيين وبسرعة العصر إلى مداهما المأمول ، على نحو ما سأوضحه في الأسطر التالية :

إنني أحب أن أركز على ما أراه ضروريًا من خطوات تهدف إلى جعل التعريب ينطلق في خطين متوازيين : أولهما يمضي إلى المدى الأبعد في

تعريب المصطلحات على نحو أسرع وأشمل وأعمق بالقدر الذي يختصر المسافة الزمنية؛ للوصول لحلم تعريب المناهج العلمية كافة ، وسبيلنا إلى ذلك أن نستفيد من العلماء المختصين (على أعلى المستويات) في استخدام الحاسوب بكثافة أشد وأدق وأعمق؛ حتى نجعل المصطلحات في متناول من يستهويهم التعامل مع أجهزته أكثر مما يستهويهم التعامل مع الكتب والأبحاث المكتوبة، التي لم يعد يقبل على اقتنائها والإفادة منها إلا القليل.

وهذا المنهج المقترح هو ما يمكن أن نسميه (استيراد المعرفة من خلال التعريب) ولست أراه وحده السبيل الموصل إلى تعريب المناهج، إذا لم يقترن به تحريك قطار موازٍ يسرع بنا إلى تعميم تعليم العربية على مستوى شعوب الأرض كافة باستخدام وسائل التقنية الحديثة، التي يحتل الحاسوب أيضًا محل الصدارة فيها، إلى جانب تقنيات أخرى يحسن بنا أن نكل تحديدها والإرشاد إليها إلى نخبة من العلماء المتخصصين، وبجانبهم نخبة مختارة من الفنيين في مختلف وسائل الاتصال ونقل المعلومات، على النحو الذي تتذوقه أمزجة الناس العاديين، وبالطرق التي درجت عليها الدول المتقدمة، وبلغت بها مراحل متقدمة في تعليم لغاتها، على نحو جعل المسافة بيننا وبينها لا تختلف في تصور الكثير من الناس عن مسافة ما بين القطبين .

وإني أختم برجاء مُلِحٍّ أن يتفضل مجمعنا في دورته المباركة هذه فيضمن قراراته قراراً بتشكيل لجنة موسعة تضم من يرغب من الأعضاء (وآمل أن أتشرف بأن أكون واحدًا منهم) إلى جانب عدد غير قليل من علماء المجمع الخبراء، وغيرهم ممن توهلهم خبرتهم الفنية العالية في مختلف التخصصات التي لا غنى عنها؛ لإعداد برنامج عالمي يساعد على طي مسافات الزمن، وجعل العربية تحتل حيِّزَها اللائق في أذهان وأدمغة الناس

في كل بقعة من بقـــاع الأرض؛ فنقطـــع بذلك أهم الأشواط لتعريـــب الإنســـان وتحقيق (قومية العربية) التي تمكن كـــل إنسان من أن يقرأ القرآن بلغته؛ فينـــهل من إعجازه وإشباعه العقلي ما يوحِّـــد عقول البشـــر جميعًـــا حـــول أهـــداف الإخـــاء والمحبـــة والأســـرة الواحـــدة والسلام الشـــامل .

على رجب المدني

عضو المجمع من الجماهيرية

العربية الليبية العظمى

التعريب

حديث قديم ومتجدّد

١٨٨١ - ١٩٢٣م

للأستاذ أحمد شفيق الخطيب

تمهيد

الحديثُ في موضوع التعريب وعنه قديم ومُتجدّد - المُتجدّد منه أذكرُ أني استمعت فيه إلى فيضٍ مُقنعٍ منه في هذه القاعة من زملاءَ أكارم أذكر منهم - على سبيل المثال لا الحصر - الدكاترة والأساتذة مع حفظ الألقاب : عبد الكريم خليفة، ومحمود حافظ،وكمال محمد بشر، وأبا شادي الروبي، وعدنان الخطيب ، ومحمد يوسف حسن، وكمال محمد دسوقي، ومحمد رشاد الطوبي، وعبد الحافظ حلمي محمد،وعبد العزيز الرفاعي، ويوسف عز الدين.

وهذه الكلمات،على عِلمي، تضمُّها محاضرُ جَلسات مجلس ومؤتمر مجمع اللغة العربية. وبالتأكيد تضم محاضر جلسات مجامع اللغة العربية ومؤسساتُ اللغة العربية المثيلة في عمّان، ودمشق، وتونس، والرباط، وغيرها مقالات مثيلة . هذا إضافةً إلى محاضر اتحاد الجامعات، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومؤتمرات الوزراء والمسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي ومقرَّراتهم التي تُفرح الأذن ولا تُطرِبُ نتائجُها القلب . وكلُّها تجمع على ضرورة تنفيذ التعريب فوراً دون أن يعني ذلك بحالٍ من الأحوال إهمال اللغة الأجنبيَّة كصلةٍ وثيقة بين المثقَّف العربي ، مهما كان اختصاصه، والثقافات العالمية.

لكني في الصفحات التالية أعرض لحضراتكم مقتطفاتٍ من مقولاتٍ تعود إلى أكثر من مئة عام اخترتُها بتصرُّف بسيط * تدور كلُّها حول موضوعنا في هذا المؤتمر .

* مقالات جمعها الدكتور يوسف قزما خوري في كتاب (نجاح الأمة العربية في لغتها الأصلية) . دار الحمراء . بيروت . ١٩٩١م .

لعلّ تلك الجُهود لرجالاتٍ أحبُّوا اللغة العربية، تُضيف إلى جُهودكم وجهود محبي العربيَّة حاليًّا ومستقبلاً مزيدًا من الحماسة والاندفاع ، جهادًا في سبيل تحقيق هذا الهدف الذي يقول فيه أحد مقررات المؤتمر الثاني للوزراء والمسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي في تونس عام ١٩٨٣م .

" إذا كان التعريب في الحياة العربية قرارًا سياسيًّا ، فهو في حقيقته قرارٌ تربوي وتعليمي وفي جوهرة خِيارٌ حضاري " .

وفيما يلي أُعيد معكم عقاربَ الزمن إلى موضوع التعريب ومستقبل اللغة العربية قبل قرنٍ من الزمان .

تعليم العربِ العلوم في اللغة العربية هو أحسن منه في غيرها

(١٨٨١م)

بقلم المعلم عبده كحيل

هذه قضية يقول بصدقها كثيرون من الأجانب . ولا أخال لها مُنكرًا عربيًّا سواءٌ نطق بها مرتجلاً عن هوى أو أوردها عَقِب التروّي والإمعان . ولكي يصحَّ صِدقُها أمام الجميع أقول :

اللغة

إن اللغة العربية لغة غنية تُعَدُّ من أغنى اللغات التي زانها العلم وحسَّنها التمدن . لغة طبيعية الهجاء بخلاف الفرنسية وبالأحرى الإنجليزية مثلاً . أما الصعوبة العظمى فيها وهي الحركات غير الصرفية والنحوية التي توضع عند البعض إزاء الهجاء في غيرها فليست أعظم من صعوبة حروف العلة في سواها ، ويزيلها الاستقراءُ والمزاولة كما يتم لحروف العلة هناك. لغة بديعة الاشتقاق الذي يساعد كثيرًا على اختلاف كلمات تستدعيها الضرورة وتطلبها مقتضيات الحال . لغة يزيدها النحت حياةً ويغنيها عن ذل الاستعارة وشين السرقة من لغات الغير . لغة كريمة الأصل إذ لها الحظ الأوفر من تلك اللغة الأصلية أو الطبيعية . ذلك لي عليه أدِلة لا يَسع المقام إيرادها . وإنما أُشير إليه إشارةً باشتقاق آدم من أديمها ، وحواء مِن حيائها ، وقابين من قنيتها إلخ ؛ وبحكاية الأصوات، مثل: نَقّ، ودق،وطق، وأزيز الرعد والطائرة ، ومُواء القط ، وعواء الذئب والكلب إلخ . لغة عذبة

اللفظ سلِسَة النطق تعشق سماعَـــها الأُذُن ويطرَبُ لها الذوقُ السليم .

الطالب

إن الدواعي التي تسوق الإنسان إلى دراسة لُغة غيرهِ متفاوتة.فمنها طلب المنفعة المادّية بالترجمة والتجارة وغيرهما. ومنها دراسة لغة قوم قصد إفادتهم أدبيًّا أو روحيًّا . ومنها لمعرفة الكتب الدينية في اللغة التي جاءت فيها بدعًا ، كدرْس غير عربي العربيةَ لمعرفة القرآن، وكدرْس غير مسيحي العبرانية والكلدانية والسريانية واليونانية لمعرفة التوراة والإنجيل . ومنها تمكن المرء في لغتهِ لافتقارها إلى غيرها كدرس إنجليزي مثلا اللاتينية واليونانية . ومنها مقابلة اللغات مع بعضها للتوصل إلى حقائق أو إثبات حقائق تاريخية .

الطلبة في بلادنا يكفيهم أن يتمكنوا من فهم اللغة التي يقصدونها والترجمة منها إلى العربية وليس على كلهم أن يجدُّوا ليصيروا قادرين على التأليف ودرس العلوم فيها. ولذلك يكفيهم أن يدرسوا اللغة الغربية سنتين أو ثلاثًا . ولكن إذا سبقوا لدرس العلوم في غير لغتهم فيجب حينئذ تفرُّغهم لدرس اللغة التي يعلّم فيها خمس أو ست سنوات يشتغلون فيها بكل جد قبل أن يدخلوا باب العلوم . وهكذا يضيعون الوقت الطويل والمال الجزيل ولا يكونون متضلعين في لغتهم. فإن كان الطالب من المعسرين فلا تسعهُ ذات اليد أن يخسر معظم وقته إلاّ إذا أغناه المغنى .

وإن كان من الموسرين فخيرٌ لهُ أن يتوجه إلى ذات البلاد التي عليه أن يدرس العلوم في لغتها حيث هناك يسهل عليه كثيرًا إتقان اللغة وضبطها . وما من طالب عربي يتح لهُ الله أن يدرس ما يود من العلوم في لغتهِ التي رضعها وألفها حتى عشقها ،ويعدل عنها في بلادِه إلى الدرس في لغة أجنبية وهو غير مكره ولا مطمع بأكثر مما يناله في لغتهِ . ولكم سمعت طالبًا يغن متأوِّهًا من مجرد سماعهِ إنه سيدرس في اللغة الإنجليزية أو الفرنسية . وربما عدل بعض الطلبة عن الدرس بسبب ذلك نظرًا لتيقنهم (وهو يقين حق) أنّ تعلمهم العلوم في اللغة العربية أسهل وأجمل وأكمل وأفضل . هذا ما يلوح لي في هذا الموضوع الذي يستدعي كل تبصُّر

واهتمام قبل نقل الأقدام . وبناء على مـــا تقدم أقول مؤكدًا ومختتمًا : حقًّا إن تعليم العـــرب العلوم في لغتهم هو أحسن منـــه في غيرها .

[النشرة الأسـبوعية ج ١١(١٨٨١) ص ١٥٨ - ١٥٩]

التعليم في لغة غريبة

(١٨٨١م)

بقلم المعلم إبراهيم كفروني

يترتب على تعلُّم العلوم في لغة أجنبية ربح وخسارة .أما الربح فهو في سرعة تعلّـــم اللغة، وأما الخسارة فهي في بطء تحصـــل العلم المقصود . غير أن ما يكسبهُ الطالب بالإسراع في تعلم اللغة يخسرهُ بما ينقـــص من إدراكهِ العلم المطلوب وبما يلزم لهُ مـن الوقت الزائد لأجل تحصيلهِ إياهُ . وكثـيرًا ما يُشاهَد ذلك في الذين يدرسون العلـوم من السوريين في اللغة الفرنســية فـإنك تراهم متضلعين في معرفة اللغة يحســنون التكلم بها والكتابة غير أنك إن ســألتهم عمَّا تعلموهُ رأيت أن ما يعرفونهُ من العلم هو دون الطفيف، وكذلك مـــن يتعلـــم منهم العلوم في اللغة الإنجليزية يستفيد كثيرًا في معرفة اللغة ويسرع في تعلمـــها غير أنه يقصِّر في تحصيل العلم المقصـود ، فربما اقتضى له لتعلّم الحســاب البسـيط ثلاث سنوات وللجغرافيا مثـــل ذلـك وللجبر أربع سنين وللمثلثات المســـتوية والكروية سنتان وللمساحة سنة. وكـــان في مُكْنتِه أن يتعلم كل ذلـــك في اللغـة العربية في برهة سنتين أو أقل من ذلك .

ولا يخفى ما في التعلم بلغة غريبـــة مـــن المصاعب على الدارس والمدرس معًا . فإن الدارس لا يـــدرك المعاني حـــق الإدراك كما يدركها في لغته وربما اقتضى لـــهُ أن يدرس اللغة ثلاث سنين - على الأقـــل- قبل أن يصير قادرًا على تعلم علمٍ فيـــها مهما يكن بسيطًا وهيِّنًا.أما المدرّس فإنـــه يلقى من تلميذه عرق القربة ، ويُبلى منـــه البلاء العظيم، يضيق صدرهُ من ركاكـــة عباراته، ويُبَحُّ صوتُه وهو يقصد أن يفهمَه ولا ينتفع شيئًا . وكثيرًا ما يقع في حـــيرة لا يدري أتلميذهُ غير فاهم المعنى أو أنه لا يفهمه ويعجـــز عن إيضاحهِ لقصـورهِ في اللغة

وإن من النـــاس من غرضهُ تعلّم اللغـــــة الأجنبية ومنهم من غرضهُ تعلّم العلـــوم. فننصح للأول ألاّ يقتصر في درس اللغـــة التي يطلبها على تعلّم الجداول والمحلورات بل أن يوثر على ذلك تعلّم علوم في تلـك وربما كان الأولى أن تكون تلك العلوم ممّا تعلّمُه في لغته . وننصح للثاني الذى غرضهُ تحصيل العلوم أن يدرسها في لغته بالألفاظ التي يألفها والعبـــارات الـــتى يفهمـــها والاصطلاحات التي تعوَّدها فإن لها وقعًـا في نفســهِ وتأثـــيرًا لا توثّـــره الألفـــاظ والعبارات والاصطلاحات التي في اللغـات الأجنبية .

[النشـــرة الأســـبوعية ج١١(١٨٨١) ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧]

لغة التعليم

(١٨٨١م)

بقلم الدكتور فضل الله عربيلي ب.ع ، د. ط ــ الولايات المتحدة في أمريكا

حضرة مدير النشرة الأسبوعية المحترم .

إن مسألة جعل التعليم باللغات الأجنبيـــة أصلاً بالمدارس العربية لمن المسائل المهمَّـة، وفي البحث عنها أمـــور كليَّـــة ينبغـــي ملاحظتها لمن يعزُّ وطنهُ ويهمُّـــهُ تقـــدُّم البلاد.ولا يخفى – في هذه المســـألة – أن المقصود ليس تفضيل لغة على ســواها ولا أيّ اللغات أفضل وأصلح لتعليم العلـــوم بها، دون تحديد المكان والزمان،بل أتعليـم العلوم باللغات الأجنبية في صقع عـــربي أفضل من تعليمها باللغة العربية أم لا، هي المسألة .فتعليم العلوم بلغـــة أجنبيـــة لا يقتصر على أبناء العصر الحاضر فقط بـــل يتجاوز إلى الأعصر المستقبلة .وإذا سَلّمنا بأفضليّة هذا التعليم فعلينـــا أن نتصـــور بإزائنا أن تلامذة هذا العصر ســـيكونون أساتيذ أبناء الأعصر القادمة وعلماء هـــذا الزمن الذين هم ضابطو اللغة وحـــافظو قوانينها ،سيُبدَلون بعلماء أجنبيين نظـــرًا لتعليمهم ،وذو البصيرة يعلم ما في نهايـــة تلك السلسلة المتصلة وما في الانقلاب من الضر على اللغة الوطنية وأهلها .

لعمري إن من يقول بأصوبيـــة التعليـم باللغات الأجنبية فكأنه يقول بأصوبيـــة وجوب التكلم بتلك اللغـات في كـــل حالٍ بين أفراد كل عائلة عربية ، ونـــزع اللغة الوطنية تدريجًا حيث تحل محلها لغـــة أجنبية، فتصبح لغة الجرائد والمطابع

والأشغال العمومية والخصوصية والتـأليف والمدارس؛ لأن مدارس البلاد إنمـــا هـــي مجتمع أفراد العيال، وما البلاد إلاّ أهلـــها وأعمالها ، وليس الجامع لهم إلاّ لغتـــهم الوطنية . ففي ذلك أمر كُلي ونظرٌ خفـــيٌ قلّ من يرضى بهِ. عقيب التأمل والإمعـــان إذ لم يُرَلهُ سالفٌ في بلاد أخرى إن كـــان في الأعصر الحاضرة والغابرة، و لم نســـمع بأمةٍ استصوبت تعليم أولادها وهـــم فى بلادهم بلغة أجنبية فجعلتها أصلاً واللغـــة الوطنية فرعًا في التعليم، سواء في الأمـــم المتمدنة أو غير المتمدِّنة، بل نرى أن الأمم أجمع يتعبدون للغتهم إذ هي رباط الأمـــة وسلسلة الأعمال ويجتـــهدون لإغنائـــها وتحسينها بإدخال الترجمـــات والتـــأليف الأجنبية التى ينبوعها المدارس ،وضمها إلى مكتبتها. على أننا لا نسلم أن اللغة العربية هي أضعف وأفقر اللغات حـــتى تكـــون مقدامًا لهذا العمل .فلو نظرنا إلى الأمـــة الجرمانية مثلاً فإننا لا نراها تبتدِئُ بتعليـــم أولادها العلوم الرياضية في مدارسها باللغة الفرنسية على أن للفرنسية الشهرة بهـــا .

ولو نظرنا أيضًا إلى الأمة الفرنسية فـــلا نراها تجعل لغـــة التعليـــم في مدارســـها الجرمانية في الطبيعيات على أن لأهل هذه اللغة الشهرة وطول الباع بها. فمن ذلـــك يظهر لنا أن لا أحد يرضى بأن يســـلب أصالة لغتهِ مراعاة لذلك .

فإن قيل إن هاتين اللغتين على غاية مـــن السعة وتعداد المؤلفات ،فيجاب على ذلك أن في العربية سعة أيضًـــا ، و لم تتعـــدد المؤلفات بهما إلاّ بالسعي والهمة لإيجادهـــا للمتعلمين بلغتهم الأصليـــة ،وجـــرّ آراء الآخرين إليها،والمحافظة عليها وليس بالقاء عليها بالهجران والإعدام ، بحيث جُعلـــت فرعًا في المدارس التي إنما هي في الضـــابط والحافظ للغة .

ففي مدارس الأستانة مثلاً تـــرى الهمـــة مصروفة الآن بترجمة كتب التعليـــم إلى اللغة التركية والتعليم بها على أنها أضيـــق من العربية كثيرًا وأكثر معلمـــي تلـــك المدارس من الأوربيين وما ذلك إلا لأنهـــا لغة الدولة والأهالي .

[النشرة الأســبوعية ج ١١(١٨٨١) ص ٣٢٥ ــ ٣٢٧]

تعلُّم المرء العلوم في لغته التي نشأ فيها هو أيسر منهُ في غيرها

(١٨٨١م)

بقلم المعلم إلياس جرجس بهنا الريشاني

هذه القضية – قضية تعلّم المرء العلـوم في لغته التي نشأ فيها – حُجتها في صدر كلٍّ من أولي البصيرة والعرفان إنْ أجنبيًّـا وإن عربيًّا سيما إن نظر فيها بعين الحق؛ لأنهـا لسان حال كل ابن لغةٍ ،يستطيع بها درس مـا يشاءُ وتدريس ما يشاءُ وكتابة مـا يحلو أضعاف ما يسـتطيعه في غيرهـا، فلذلك يعسُر عليه جدًّا إبدال لغته الطائعة لقلمهِ ولسانه لغةً يتلعثم لسانُه عن النطـق بما كثر فيها من الألفاظ الغريبـة غـير المألوفة عندهُ، وبوهن عزم فكرتهِ – قبل أن يفوز بمعرفة اصطلاح أهليها بها وإيعـاب جميع شواذها ولا سيما إن تفاقمت كمـا في الإنجليزية . هذا وكثيرًا ما يحجز قلمـهُ عن استمرار كتابة كلمات أنستهُ إياهـا صعوبة التهجئة حتى يدركها بنظرة مـن قاموسها إن كان بحوزتـه قـاموس، أو بسؤال لأحد من ذويـها، عـن هـذه الكلمات التي لا يستطيع أن يلفظ المتعلـم واحدة منها إلاّ على يد أستاذ ولو كان ذا إلمامٍ في القراءة لِكثرة ما تضمنتـهُ مـن الأحرف النافلة: وهكذا يضيِّع قسمًا مـن ثمين أوقاته قبل إظهار معنًـى أو تأديـة برهان بلا داع . فلذا في مقدرة ابن اللغة أن يتعلم أكثر العلوم بلغته قبل أن يتضلـع بلغةٍ أجنبية . اختبرت هذا في ذاتي وصرح بهِ كثيرون ممن لا يراعون حرمة الجـانب انتصارًا للحق . قال أحد النجباء: "بكـل صراحةٍ أقول ولا أخشى لومة لائمٍ إنـه يسهل عليَّ جدًّا الفوز بأكثر الفنون بلغتي قبل أن أتضلع بلغةٍ أجنبيـة أذوق مـن صعوبتها تباريح الكرب " .وقال آخـر وهو يئن مُتحسرًا: "إن تعليم العلوم بلغـة أجنبية في المـدرسة الكلية حرمـني إدراك ما أتمناهُ منها " مع أن لهُ من المبـادئ في ذات اللغة ما يحملهُ إلى ذلك . فما تقـدَّم حدٌّ عام لا يتجاوزهُ أبناءُ اللغـة العربيـة واقفين وصارخين. الحق أولى أن يقـال . تعلُّمنا العلوم فى لغتنا التي نشأنا فيها هـو أيسر لنا منهُ في غيرها وهـاك في ذلـك بعض الأدلة .

أولاً : لأن لها بين اللغات الحظّ الأوفـر

لكونها لغة واسعة النطاق أثيرة الشموس عذبة الألفاظ بعيدة الشواذ محكمة الأصول مضبوطة القيود .

ثانيًا : لأن بواسطتها تعمُّ العلوم بلادنا وتمتد من الخاصة إلى العامة بدون مشقة وذلك لأننا نقتدر بها على بث أفكارنا بما تعلمناهُ بطرق شتى لا يمكننا بثها لو تعلمنا بلغة أجنبية تصدنا عن فهم الحقائق بوجه السرعة وعن إيضاحها بعبارات سهلة مفهومة عند الاقتضاء كما شُوهد من أهل التجربة والاختبار .

ثالثًا : لا يوافق أحوالنا غيرها.وذلك من جهة عدم إمكان كوننا طلبة علوم تحت يد أساتيذ مع سهولة كوننا مطالعين. هذا والأساتيذ منا الذين قد تضلعوا ببعض لغات الأجانب يفضلون ترجمة الكتب العلمية عليهِ في تعليمها في المدرسة ،فعلى هذا يكون المترجمون أكثر من المعلمين، والمطالعون أكثر من الطلبة ،فحينئذٍ يمكننا الفوز بالبغية في وقت ليس بمستبعد .

رابعًا : إن لأكثرية الصوات حقًّا في الحكم على هذه المسألة .فإنهُ قد ظهر لي جليًّا من أن الذاهبين إلى الإبدال هم جزءٌ صغير بالنسبة إلى الكل،فلا يسلم الكل بما يرومهُ البعض من إبدالهم بلغتهم سواها، ويشق على الكثيرين فقد العصبية الكائنة بينهم التي يرغب القلائل فقدانها بجعل العربية فرعًا وغيرها أصلاً . والحق وتابعوهُ لا يرتضون بذلك على الإطلاق.

وأخيرًا إن المحبة والأمانة تجبراننا على ألا نتعدى لغتنا إلى غيرها لأنهُ ليس من العدل سرعة العذل . فلا يحق لنا أن ننكث عهود الصداقة ونصرم حبال المودة بيننا وبين لغتنا ونميتها بجعلها فرعًا . فلا يترك الولد والدتهُ لكونها رثة الثياب،ولا يتغرب إلى غير وطنهِ ليميتها جائعة عريانة، بل ليرجع ويكسُ والدتَه مقدِّمًا لها ضروريانها مما كسبهُ في غربتهِ .

[النشرة الأسبوعية ج١١(١٨٨١)ص ٣٧٣ ــ ٣٧٤]

استبدال لغة التعليم بالعربية في الكلية السورية الإنجيلية عام١٨٨٢

خسارة لا تعوّض

(مُذكّرات نُشرت عام ١٩٥٦م)

بقلم العالم منصور جرداق

أبنتُ سابقًا أن العمدة قررت أن تكون الإنجليزية لغة التدريس في دوائر الكلية العالية بدلاً من العربية قبل وقوع الثورة

على اللغة العربية ببضع سنوات.والمشهور أن فكرة إبدال الإنجليزية بالعربيـــة ، أي جعل أو اتخاذ الإنجليزية بدلاً من العربيـــة، منسوبة إلى الدكتور بوســـت .ولكـــن العمدة قررت الاقتراح أو الإبـــدال ولم يذكر قط أن أحدًا عارضة أو اعـــترض عليه. ويحق لكل عاقل منصف الاستنتاج أن يستنتج أن الغاية الرئيسية مـــن نقـــل التعليم إلى اللغة الإنجليزية هي أن تكـــون عمدة الكلية وإدارتها بيد الأمريكـــان ، الذين يجب أن يكونوا دومًا أسياد الموقـف والمسيطرين على شؤون المدرسة وتوجيـه سياستها،بدلاً من أن يسيروا تحت رحمـــة الوطنيين بسبب عقبة اللغة ، لأنه يتعـــذر على من جـــدّ ويجـــد مـــن أســـاتذتهم الأمريكانيين إتقان العربية ليعلّمـــوا بهـــا ويؤلفوا (المقتطف مجلد ٩ ص ٦٣٣) . وسُمّيت المدة الأولى في تاريخ اللغـــة في الكلية بالعصر الذهبي ، وذلك لأن العربية كانت لغة المدرسة ، وبها كانت تـــدرس كل فروع العلـــوم في الدائـــرة العلميـــة والدائرة الطبية ، فضلاً عن علوم اللغـــة الخاصة من صرف ونحو وبيـــان وبديـــع وعروض وقافية . ولكـــن بعـــد النقـــل والإبدال غلبت الإنجليزية علـــى العربيـــة فأخذت محلها وصارت العربية من ذلـــك الحين إلى الآن فرعًا بعد أن كانت أصـــلاً، فأهمل فيها تدريـــس العلـــوم جملـــة وتمّ للإنجليزية الفوز وأصبحت سائدة ترفل في مطارف غلبتها وظهورها ، وانســـحبت العربية عن مواقف عزّها على منابر العلوم والفنون إلى زاوية علومها الخاصة بهـــا ، وانصرفت النفـــوس عنـــها وضجـــر المتعلمون منها فرأوها طويلة الذيول لكـــن على غير طائل، وكثيرة الشروح، ولكـــن لا تشرح صدرًا وبذلك عمدت المدرســـة جهدها في إرجاع العربيـــة إلى رونقـــها الأول فلم تستطع إلى ذلك سبيلاً .

اللغة جسم حيّ نامٍ وليس المراد أن تبقـــى اللغة ويبقى أهلها كما كانت وكـــانوا في عصر البحتري والخوارزمي ، ولو استطاع أحد أن يحصي كم دخل العربيـــة مـــن العبرانية والسريانية والقبطية والفارســـية والروميـــة من الألفاظ والتراكيب حـــتى قبل الإسلام وبعده ببضعة قرون ، لَوَجـــد أن العربية كانت حينئذٍ لغة حية ناميـــة كالإنجليزية والفرنســـية والألمانيـــة الآن.

ولقد عدّ الدكتور يعقوب صـــروف في الصفحة الأولى من جزء الأقراباذين مـــن قانون ابن سينا الذي ألّفه في بداية القـــرن الخامس بعد الهجرة، مئة اسم من أسمـــاء النباتات وسائر المواد الطبية فوجد الدخيل منها لا يقل عن سبعين اسمًا وقد ذكرهـــا ابن سينا كلها كأنها أسماء مألوفة في أيامه. وكما كان العلماء من أطباء وريـــاضيين وفلكيين في ذلك الحين يرحبـــون بكـــل كلمة أجنبية تزيد غناء العربية غناء كـــان الأدباء والشعراء أيضًا لا يستنكفون مـــن استعمال المعرَّب .

والذي أعرفه جيِّدا أن الدكتور كرنيليوس فانديك هو مؤلّف الباثولوجيـــا والبيـــان والبديع والعروض القوافي والجبر والهندسة والكيمياء والفلك والجغرافيا والنقـــش في الحجر ، ومترجم التوراة من لغاتها الأصلية ترجمة شهد له بصحتها أكـــابر علمـــاء الأرض وابن حور ، واللغوي الذي أتقـــن عشرًا من اللغات القديمة والحديثة ،والذي درس جيدًا قانون ابن ســـينا وأبقـــى في النسخة التي درسها (الموجـــودة الآن في مكتبة الدكتور يعقوب صروف) آثـــارَ علمِه وتدقيقه بما ترجمـــه فيهـــا مـــن الكلمات الطبية لما يرادفها في اللاتينيـــة أو اليونانية ـــ إن الدكتور فـــانديك جمـــع الأسماء العلمية والعبارات والاصطلاحـــات العربية التي وضعها واستخدمها علمـــاء العرب في الطب والفلـــك والرياضيـــات والطبيعيات بمساعدة أســـتاذيه في اللغـــة العربية الشيخ ناصيف اليازجي والشـــيخ يوسف الأسير- أقدر وأشهر علماء اللغـــة العربية في عصرهما - ثم راجعها بنفســـه في مظانها ونقّحها وقابلها بما ورد في الكتـــب اللاتينية المترجمة من العربية وأخيرًا بما ورد في الكتب الإنجليزية والفرنسية والألمانيـــة المترجمة من اللاتينية ، وقد فعل ذلك بكل عناية وتدقيق ، وبعدئذ باشر التـــأليف في المواضع المشار إليها ،فأتت كتبه حجـــة في الأسماء والتعابير والاصطلاحات العربيـــة وحذا حذوه، لدرجة تذكـــر، زمـــلاؤه الدكاترة ورتبات وبوست ولويس فـــأغنوا اللغة العربية ومكانتها بما ألفوه وترجمـــوه ووضعوه في مختلف المواضيع ولكن حينما

نقـــل التعليم في الكلية من العربيـــــة إلى الإنجليزية نضب ذلك المعين الكبير .

ونستنتج مما ذكر أن اللغـــــة العربيـــة - كلغة- خسرت خسارة كبيرة لا تعـــوض بسبب استبدال لغة التعليم في المدرســـــة الكلية وجعلها الإنجليزية بدلاً من العربيـة، وهـــذا أمر بديهي لا يحتاج إلى برهـــان.

ومهما قيل لتبرير نقل التعليم من العربيـــة إلى الإنجليزية بحجة أن الإنجليزية أوفر كتبًا وأوسع بحثًا وأن العربية لا تتسع للبحـــث في العلوم العصريـــة وتعريـــب الأسمـــاء والألفـــاظ والاصطلاحـــــات العلميـــة الحديثة والتأليف، فهذا تعليل لا ســـــبب حقيقي جوهري - وما أبعد الفرق بـــين السبب والتعليل - ولإثبات ذلك أقـــول: إن اللغة العربية اتسعت قديمًـــا للترجمـــة والتأليف حينما أمر الخليفة المأمون بترجمة الكتب العلمية مـــن اليونانيـــة والهنديـــة والفارسية والسريانية وغيرها . وكذلـــك اتسعت حديثًا للترجمة والتأليف حينمـــا أو فد محمد علي الطلبة المصريين للـــدرس في أوربا وأمرهم بعد عودتهم بترجمة الكتـــب العلمية إلى العربية، وحينما فتحت الكليـــة أبوابها وجعلت التعليم باللغة العربية وصار على المترجمين والمؤلفين الجدد أن يحـــذوا حذو الفارابي وابن المقفع وابن سينا وابـــن رشد فيبقوا الكلمات العلمية على وضعها وهي تعدّ بالألوف وعشـــرات الألـــوف فتغنى العربية بها، ويسهل على المتعلمـــين تناولها ، أو أن يفتشوا عن مرادف لهـــا في العربية ويهملوا ما لا يجدون له مرادفًا وما تتعذر ترجمته.

وبهذه المناسبة أحب أن أصرّح برأيـــي في هذا المقام لأنني عانيت الترجمة والتـــأليف والتدريس أكثر من نصف قرن فـــأقول : إن العربية ـــ لغتنا الشريفة ـــ لغة حيَّـــة نامية اتسعت في الماضي وتتســـع الآن في الحاضر وسوف تتسع في المستقبل للترجمة والتأليف ولا يضيرها قط دخول الأسمـــاء الغربية، فقد دخلها ألوف من الكلمـــات السريانية، والعبرانية، والمصرية، واليونانية، وغيرها ولم تزدها إلا غـــنى وستدخلها ألوف أخرى ولا تزيدها إلا غـــنى ولهـــا أسوة بالإنجليزية والفرنسية والألمانيـــة . والكلمات تتنازع البقاء مثـــل الأحيـــاء ولا يمكث منها إلا كل ما هو صالح ونافع ومفيد . فعلينا ألاّ نكون عثـــرة في سبيل

هذا النمو الطبيعي المبارك .

"أول ثورة مدرسيَّة في العـــالم العـــربي"

منصور جرداق، بمجلة أوراق لبنانية[ج١٢، السنة الثانية، ١٩٥٦م ص ٥٦٩ــ ٥٧٤]

التعليم بالعربية والإفرنجية

(١٨٩٣م)

بقلم مُنشئا المقتطف

(يعقوب صروف وفارس نمر)

إن تعليم العلوم الطبيعية والرياضية بلغـــة أجنبية له مزايا خاصة بهِ تميزهُ من وجـــوهٍ شتى. وذلك أن هذه العلوم متقدمة ناميـــة واشتغال الأجانب بها جارٍ علـــى ســـاق وقدم فلا يكاد يمضي شهر إلاّ وتكشـــف فيهِ أمور كثيرة غير معلومة ، ويغير كثـــير من المعلوم أو يعدَّل تعديلاً يجعل ما يؤلف هذا العام في علم يعد قديمًا يكاد لا يعـول عليه بعد بضعة عشر عامًا . ولذلك تـرى أن من أراد ابتياع كتاب في علم من هـذه العلوم فأوَّل ما يسأل عنهُ تـــاريخ طبـــع الكتاب ليعلم زمان تأليفهِ . وهذا عـلمٌ في تلك العلوم كلها ولكنهُ متفاوت كما هـو معلوم عند أربابهِ . ولما كـــان المؤلفـــون الأوربيون والأمريكيون مجارين للمشتغلين في هذه العلوم كانت كتبـــهم المدرســـية أصلح للتدريس من كتب غيرهم. ولذلك يجد الإنسان في اللغات الأجنبية أصلـــح الكتب لتدريس التلامذة وتوسيع عقولهـم مما يتعذّر وجودهُ بالعربيـــة في أحوالنـــا الحاضرة، غير أن للمسألة وجهًا آخـــر لا تروج مصلحة البلاد إلاّ بالنظر إليهِ . فلغة الأمة بأسرها هي اللغة العربيَّة. وترقيـــة الأمة علمًا وعقلاً إنما تكون بالواسطة التي تتفاهم بها، وذلك يقتضي أن يكون فيـــها الأساتذة والمعلمون والمؤلفون والمصنفون، وكلهم يبثون معارفهم في أمتهم بلغتـــها . وإلاّ اقتصرت الفائدة على الذين يحصلـون العلوم فلا تتعدّاهم إلى سواهم . والاختبار يشهد أن من يتعلّم علمًا بلغةٍ لا يتكلـــف الكتابة فيهِ بلغةٍ أخرى إلاّ إذا اضطـــر إلى ذلك اضطرارًا أو إذا كان لهُ مطمع آخر . فإذا كانت مدارسنا لا تـــدرّس العلـوم الطبيعية والرياضية إلاّ بلغة أجنبية، وكـلن الدارسون منا لتلـــك العلـوم يجـــهلون اصطلاحاتها العربية ويستصعبون التعبـــير عنها بلغتهم العربية، فلا يبقـــى أمـــلٌ في التأليف والاشتغال بها، ولا تستفيد الأمة

شيئًا من المعارف التي حصّلوها،ولا تكون المدارس الحاضرة أساسًا يبنى عليهِ مستقبل الأمة، ولا يكون لتلك العلوم حظ من الانتشار في هذه الديار ، ولا يكون للأمة كلمة حظ من الاشتغال في ترقيتها على توالي الأعصار .

وهذا الذي نقولهُ مؤيد بالمشاهدة والاختبار؛ فقد أو شكت المؤلفات العلمية أن تنتفي من الديار الشرقية بعد استبدال اللغات الأجنبية في تعليم العلوم باللغة العربية . ولنا في ذلك كلام طويل لا تستوفيه هذه العجالة.فحسبنا ما تقدم دليلاً على وجوب تعليم العلوم في المدارس الأميرية بلغة الأمة لا بلغة غربية عنها ، وذلك ليس إنكارًا للنفع العاجل الذي ينتفعهُ الطلاب من التعلّم باللغة الأجنبية وإنما هو اعتماد على أن النفع العميم الآجل خير من النفع المحصور العاجل .

[المقتطف ج١٧(١٨٩٣) ص٦٧٣-٦٧٥]

التدريب على التعريب
(١٩٠٣ م)

بقلم الأب أنستاس ماري الكرملي

لقد أصبحنا في زمان ضاق دونه نطاق اللغة العربية . وغدا أبناؤها في حاجة ماسّة إلى إدخال المصطلحات الأعجمية في مصطلحاتها العلمية والصناعيّة؛ إذ ليس اليوم من كاتب يكتب عن شيء عصري، أو ينتدب لتأدية رسم فكري، أو تصوير أمر فطري ، إلاّ ويتخذ لذلك قوالب غريبة ، وصورًا ألوانها جديدة قشيبة. وهذا ما تشهد به الصحف التي تجوب الأقطار ، والكتب العربية التي تؤلف في جميع الديار . وإن كان الجميع يشعر بهذا الخلل في اللسان ، ووجوب إدخال الأعجمي فيه على تراخي الزمان ، فإنهم لم يتفقوا في الكم والكيف لما يتصوّره كل حزب من وراء ذلك على اللغة من الحيف.

أمّا من جهة " الكم " فإن البعض منهم " أفرطوا" في استعمال الدخيل أيّ إفراط، حتى أثار في كثيرين الهياط والمياط ، واشتد فيهم الصخب والعياط، ومنهم من

" فرّط" [1] أيّ تفريط، حتى عُدّ ممن ليس من هذا العصر الجديد النشيط، بل ممّن إذا قيل له تمم يقول "حتى يجيء نشيط "، ومنهم من ركب متنًا " وسطًا" جامعًا بين الطرفين ، يأخذ الزين ، ممّا في الاثنين ، ويدفع الشّين إلى مطارح البَيْن والحَيْن . وهذا الرأي يكاد يكون الرأي الغالب في هذه الأيّام ، وعليه يعول العلماء الأعلام . أما من جهة " الكيف " فإن منهم من ذهب إلى وجوب إدخال اللفظة الأعجمية بهيئتها وصيغتها الأجنبية .ومنهم من قال بأن تُفرغ الكلمة أولاً بقالب عربي ، ثم توزن بميزانٍ قُرشي . فإن كان فيها ما يثقِلُ الميزان، أو يُوقِر الآذان ، طرحت تلك الزيادة، وإن أضرّت بالفائدة أو الإفادة،ثم يسجل مكانها ، ويُزَلّم صوغها وبنيانها ، وبعدئذٍ تبرز الفرائد من وراء ذلك القناع، لترصّع بها أصداف الأسماع، وإن كان فيها ثلم أو نقصان ، يُزاد عليها بعض الزيدان ، لتلحق بأحد الأوزان العربية، والصيغ المسموعة عن أئمة اللغة المُضَريّة .وأمّا على أيّ وجهٍ تكون هذه الزيادة أو هذا الطرح ،فممّا يطول فيه الشرح؛ لأنهم تركوه إلى الأهواء والأذواق، أو ما انعقد تحت هذا الباب أو هذا النوع من الرواق .

ومنهم من قال لا حاجة لنا إلى إدخال كلم أعجمية في اللغة العربية ، بل يوضع فيها ما يغني معناها ، فيغني مَغناها ، وذلك على الطريقة التي دخلت بها الكلمة العصريّة في اللغة الأجنبية . وفي كل هذه المذاهب من الآراء ما أثار بين أصحابها حربًا سجالاً ، واستلزم لشرحها مقالات طوالاً . وبعد أن أجلنا النظر في ما كتب هؤلاء الأدباء ، ووقفنا على ما عثرنا عليه في كتب القدماء النجباء الألبّاء، لخّصنا هذه المقالة . لعلّها تكون للعاثر إقالة ، وللجائع عُجالة ، هذا وقد اعتمدنا في كلّ ما حرّرناهُ على أقوال الأئمة ، مؤيدين كل رأي بماله من الأسانيد المهمة ، مستخلصين من نصوصهم بعض قواعد ظواهر، تكاد تزري بالفرائد النوادر ، لا بل بالخرائد النواضر .

١-دفع رأي مَنْ يُفرِط في إدخال الألفاظ

(١) فرّط في الشيء قصّر فيه وعجز ، وهو ضد أفرط.

الأعجمية في اللغة العربية:

إذا أنعمت النظر في ما يكتبه هؤلاء الأدباء ترى ألفاظهم الأعجمية لا تخلو من أحد هذه الأمور الثلاثة، وهي : كلم دخيلة لا مرادفات لها في العربيّة. وكلم لها مرادفات فيها ولكنهم يجهلونها، وكلم يمكن أن يوضع لها مرادفات من نفس اللغة . غير أن هؤلاء الكتبة لا يلتفتون إلى هذه الفروق، بل كثيرًا ما نراهم يدوّنون الألفاظ الأجنبية شغفًا بها وتشيُّعًا لأصحابها، وافتخارًا بإدخال ألفاظ غريبة لا يفهمها جمهور القرّاء تبجُّحًا بالتبحُّر في العلم والمعرفة، وادعاء بمتلك حجب المجهولات . هذا وإنّنا نعترض عليهم بقولنا: إذا كنتم تُدخلون الكلمة الفلانية الأعجمية بدون علّة أو بعلة وهمّية، فلِمَ لا تدخلون الكلمة الثانية والثالثة والرابعة بل اللغة بجذافيرها ؟ وإذا كان الهوى و الحكم في هذه الدعوى فسدت كل حجّة ؛ لأنه ليس من قائد يقود الهوى ولا من رادع يردعه . وهوى هذا غير هو ذاك، وما يرحب به زيدٌ يدفعة عمرو ، وعليه فما تلبث اللغة أن تصبح ألعوبة بيد هؤلاء الأقوام المتباينين في المشارب والمذاهب، ولا تعتم أن تنقلب طمطمانية أو رُطينَى أو لغة مبلبلة لا يفهم فيها الواحد لغة الآخر .

ويعترضون : إن العرب لمّا نقلوا كتب الأعاجم إلى لغتهم أدخلوا كثيرًا من الألفاظ العلمية والاصطلاحية من لغات الأجانب، فلماذا يجب علينا أن نكون أغيرَ على العربية من أصحابها الأولين عليها ؟ قلنا: إن ناقلي كتب الأقدمين فريقان: فريق عارف بالعربية وطرقها وأساليبها وشعابها ، ... إلخ ، وفريق لا يعرف منها إلاّ قواعدها العامّة الكافية لإصلاح كلامه وتخليصه من شوائب الخطأ والخطل. فالطائفة الأولى لم تُدخل في العربية إلاّ الشيء النزر الذي لا مندوحة عنه، ومن هذا الفريق مترجمو كتب الحساب، والهندسة، والفلسفة، والمنطق، وعلم الفلك، وعلم ما وراء الطبيعة،والتوراة،وعلم الآداب، والأخلاق ونحوها . فإنك لا تكاد ترى في جميع هذه

العلوم إلاّ القليل من الدخيل ، وأمّا الفريق الآخر فلا يكاد يكلّف نفسهُ عناء في إيجاد الألفاظ العربية المقابلة للأعجمية؛ ولـــذا احتزؤوا بتدوين الألفاظ على ما هـــي في أصلها. ومن هؤلاء المعربين مترجمو علـــم الطب، وعلم الطبيعيات، وعلم المواليد أي الجماد والنبات والحيوان، وما كان مـــن هذا الباب .إلاّ أنه لمّـــا وقعـــت تلـــك الترجمات بعد ذلك في أيدي الفصحاء من العرب؛ طرحت كثيرًا من الألفاظ الدخيلة وأبقت منها ما شاع وذاع وخفّ علـــى الأسماع، إذ لم يعد سبيل إلى إماتتها كمـــا يتحققه كل امرئ خال من الغرض .

والخلاصة من هذا الفصل أنه لا يجوز لنـــا أن نرحب بكل غريب، ونضيـــف كـــل دخيل، إن لم يكن ثمّ مالا يغنينا عنـــه أو ضرورة تلجئنا إليه . وعليه فلا يُحسن بنـــا أن نجاري الكتبة المعجمين في كـــل مـــا يكتبونه أو ينقلونه لنا بل علينا أن نتخـــذ من الألفاظ الأعجمية ما يفي بالمقصود أو يصلح المفسود .

٢- دفع رأي مَن يفرّط في إدخال الألفاظ الأعجمية في العربية :

بين كتبة العربيّة في هذا العصر جماعـــة لا يقبل أصحابها بل ولا يريدون أن يسمحوا لكلمة أعجميّة أن تدخل لغتهم . غـــير أن معظم هؤلاء الأفاضل أناس لا خبرة لهـــم باللغات الأجنبية، أو إن أردت فقل ليـــس لهم خبرة تامّة، أو ليس لهم وقوف على ما يستحدثهُ كل يوم علماء البلاد الأجنبيّـــة، وما يخترعونـــهُ مـــن الآلات والأدوات الصناعيّة، وما يستنبطونه من مجـــهولات الطبيعة وأسرارها الخفية ، وما ينشئونه من المصنّفات العلميّة المشحونة مـــن المعـــاني الدقيقة، والأفكار الأنيقـــة والتصـــاوير البديعة، والأوصاف العجيبة التي لم تعـــنّ على بال السابقين و لم يطفُ طَيْفـــها في مَطاف مخيّلة الأوّلين. وقول البعـــض: إن الكلمات الدخيلة تبلغ نحو مئة كلمة هـــو من المزاعم الصبيانيّة تفندها الحقيقة في كل زمن إذا ما أحبّ الباحث الصادق النيّـــة الوقوف عليها بخلوص الطويّة .

هذا ولنا أسوة بسائر الأمـــم ولغويـــها وكتبتها ومصنّفيها،فإنهم لا يدخلون كلمة غريبة في لسانهم إلاّ إذا أرادوا أن يعـــبروا بها عن صورة معنويّة جديدة، أو يتوخّـــوا فائدة من اللفظ أو غاية ،لا يصلون إليـــها إذا اتخذوا ألفاظ لغتهم سبيلاً إلى ذلك، أو

إذا لم يجدوا لها مرادفًا في لغتهم ، أو إذا كانت اللفظة في لسانهم تقصر عن تأدية المطلوب من الكلمة الدخيلة . وعليه فمجاراتنا إياهم في هذا الميدان ، مما يحمده كل إنسان، وينطق بالثناء عليه كل لسان. وبدون أن نأتسي بالأجانب فلنقتفِ آثار من تقدّمنا من العرب وكتّابها الضلعاء، فلقد رأيناهم لا يأنفون من اتخاذ الألفاظ الأعجميّة كلّما دعت الضرورة إليها . ولنا من الأعجمي الذي سبق ظهور الإسلام ودخل في إبان انتشاره أو بعدهُ بقليل أو كثير، ما يضمن لنا جواز الأخذ من الأعاجم كلّما مسّت إليه الحاجة، أو قصرت اللغة عن تأديته، أو وضع مرادف لهُ .ورُبّ معترض يقول : إن الأخذ عن الأعاجم إهانة في حق اللغة العربيّة الواسعة كأنّها ترميها بشائبة النقص ، قلنا : لا إهانة في ذلك ولا منقصة؛ لأن هذا يكون إذا كانت اللغة قاصرة عن تأدية الأمور العاديّة أو الطبيعية أو الحاجيّة أو ما شابهها. وأمّا ما في عدا ذلك فلا .

[المشرق ج ٦(١٩٠٣)ص٦٤٤-٦٤٩]

شكوى اللغة العربية

(١٩٠٣م)

بقلم حافظ إبراهيم

رجعتُ لنفسي فاتّهمتُ حصاتي
ونَاديتُ قومي فاحتسبتُ حياتي
رمَوني بعُقم في الشباب وليتني
عقمتُ فلم أجزع لقول عداتي
ولدْتُ ولَمّا لم أجد لعرائسي
رجالاً وأكفاء وأدتُ بناتي
وسِعتُ كتابَ الله لفظًا وغايةً
وما ضِقتُ عن آيٍ بهِ وعِظاتِ
فكيف أضيق اليومَ عن وصف آلةٍ
وتنسيق أسماء لمُخترعات
أنا البحر في أحشائِهِ الدُّر كامنٌ
فهل ساءَلوا الغوّاصَ عن صدفاتي
فيا ويحَكُم أبلى وتَبْلى مَحاسني
ومنكم وإن عزَّ الدواءُ أُساتي
فلا تكلِوني للزمان فإنني
أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عِزًّا ومَنْعةً
وكم عَزَّ أقوامٌ بعِز لُغاتِ
أتوا أهلهم بالمعجزات تَفنُّنًا
فيا ليتكُم تأتون بالكلمات

أيطرِبُكُم من جانب الغَرب ناعبٌ
يُنادي بوادي في ربيع حياتي
ولو تزجُرون الطير يومًا علمتمُ
بما تحتهُ من عَثرة وشَتاتِ
سَقى الله في أرض الجزيرة أعظُمًا
يعِزُّ عليها أن تلين قناتي
حفِظْنَ وِدادي في البلى وحفظتهُ
لهنَّ بقلب دائم الحسراتِ
وفاخرتُ أهل الغرب، والشرقُ مطرقٌ
حياءً بتلك الأعظُم النخرات
أرى كلَّ يوم في الجرائد مزلقًا
من القبر يُدنيني بغير أناة
وأسمعُ للكتّاب في مصرَ ضَجّةً
فأعلم أن الصالحين نعاتي
أيهجُرني قومي عفا الله عنهُم
إلى لُغة لم تتّصل برُواةِ
سرتْ لوثةُ الإفرنج فيها كما سرى
لُعاب الأفاعي في مَسيل فراتِ
فجاءت كثَوب ضمَّ سبعين رُقعةً
مُشكّلة الألوان مختلفاتِ
إلى مَعشر الكتّاب والجَمْعُ حافلٌ
بسطتُ رجائي بعد بَسط شَكاتي
فإمّا حياةٌ تبعث المَيتَ في البِلى
وتُنبت في تلك الرُّموس رُفاتي
وإما مَماتٌ لا قيامة بعدهُ
ممات لَعَمري لم يُقَسْ بَممات

[المقتطف ج٢٨(يوليو١٩٠٣)ص٥٥٢]

التعريب (١٩٠٨م)

بحث نادي دار العلوم في القاهرة برئاسة القاضي الفاضل حفني بك ناصف في مسألة التعريب أي نقل الكلمات الأعجميَّة كالتلغراف والتليفون إلى اللغة العربية وذلك في ثلاث جلسات . ففي الجلسة الأولى تلا اثنان من أعضائهِ خطبتين مسهبتين، الأولى تجيز التعريب الآن بل توجبه وتبيِّن شرائطه، وقد نشرناها في هذا الجزء من المقتطف ، والثانية لا تجيزهُ الآن بل تقيم الأدلة على أن زمانهُ قد مضى ، وما جاز للعرب في زمن تكوُّن اللغة العربيَّة والتوسُّع فيها لا يجوز لنا الآن . وفي الجلسة الثانية تناظر الخطيبان في هذا الموضوع وشاركهم بعض الأعضاء والحضور.

وفي الجلسة الثالثة تُلِيَت خطب نفيسة في هذا الموضوع نفسه، نشرناها في المقطم ، وأكثر الخطباء أكّدوا على وجوب التعريب إذا دعت الحال إلى ذلك. وبعد بحث طويل دام أربع ساعات وافق الأعضاء على القرار التالي وهو :

" بعد سماع ما قالهُ جميع الخُطباء في موضوع تسمية المسميات الحديثة قرر نادي دار العلوم أن يكون العملُ على النحو الآتي : ــ يُبحث في اللغة العربيَّة عن أسماء للمسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لغة ، فإذا لم يتيسَّر ذلك بعد البحث الشديد يُستعار اللفظ الأعجمي بعد صقله ووضعه على مناهج اللغة العربية، ويستعمل في اللغة الفصحى بعد أن يعتمده المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض " .

[المقتطف ج٣٣(مارس١٩٠٨)ص٢٦٧]

أسلوبنا في التعريب

(١٩٠٨م)

بقلم منشئا المقتطف

(يعقوب صروف وفارس نمر)

سئلنا عن الأسلوب الذي نجري عليهِ في التعريب أي في ترجمة الكلمات الأعجمية أو نقلها إلى العربيَّة .وكان يجدر بالسائل أن يتوسع في السؤال حتى يشمل التعبير عن بعض المعاني التي لم تخطر على بال العرب؛ فإن تعريبها أو التعبير عنها بالعربيَّة لا يخلو من مشقة، قد تزيد على مشقة نقل الألفاظ أو ترجمتها . ويسهل إرجاع الأساليب التي جرينا عليها في الترجمة والتعريب إلى القواعد التالية .

القاعدة الأولى: الكلمات الأعجمية التي نعرف لها كلمات عربيَّة ترادفها نترجمها بمرادفاتها . ونريد بالكلمات الأعجمية الكلمات التي من اللغات الأوربية ونقصد بالكلمات العربية كل ما رأيناهُ في كتب اللغة والأدب جاريًا على الأوزان العربيَّة ، ولو كان أصلهُ يونانيًّا كقلم،أو فارسيًّا كإبريق، أو سريانيًّا كقيس، أو قبطيًّا كسلطان، أو حبشيًّا كمشكاة،وكل ما كان كذلك و لم يكن جاريًا على الأوزان العربية كسالامندرا وجندبيدستر وقنطاريون .

ولهذه القاعدة شواذ قليلة فلا شواذ في الأفعال أي إننا لا نستعمل فعلاً أعجميًّا

إذا وجدنا له فعلاً عربيًّا .

ولا شـــواذ في الحـــــــروف إلاّ في "ده" الفرنسوية و"أوف" الإنجليزيـــة و"فـــون" الألمانية في مثل لورنزو ده مديسي،وبرنس أوف ويلس، وفون كريمر ، فـــإن هـــذه الثلاثة ، حروف إضافة أو نسبة، ويُستغنى في العربية عنها . ولكن شيوعها في ما ترد فيهِ من الأسماء المركبة يجعل الاستغناء عنها عثرة في سبيل إدراك المعـــــنى بســـهولة. فالذي يقرأ كلمة برنـــــس أوف ويلـــس يدرك حالاً أنهُ لقب ولي عـــهد إنجلـــترا ولكنه إذا قرأ برنس ويلس،أو أمير ويلس، فقد يظن أن المراد بذلك شخص آخر غير ولي العهد . وأما الأسماءُ ففيها كثير مـــن الشواذ حيث شاعت الكلمة الأعجميَّـــة وصارت أدل على المراد من الكلمة العربية مثل كلمة برنس المذكورة آنفًـــا . فإنـــهُ يُفضل استعمالها في بعض الأماكن علـــى استعمال كلمة أمير، فلوقلنا أميـــير أوف ويلس أو أمير ويلس بدلاً من برنس أوف ويلس، لظن القارئ أو السامع أننا نريـــد شخصًا آخر غير ولي عهد إنجلترا . وقـــد تدلُّ القرينة على المراد ولا يُكتفَي بهـــــا لأنه يشترط في حسن التعبير أن يـــــؤدى المعنى المراد إلى ذِهن السامع بأقل ما يكون من الوقت والكلفة والإسراف في القـــوة العصبيَّة. وقـــد كـــان علمـــاءُ العـــرب المبـــرّزون مثل: ابن الأثير، وابن ســـينا، وابن البيطار يجرون هذا المجرى أيضًا، فقد كانوا يستعملون الكلمة الأعجمية الـــتي ألفتها الأسماع، وصارت أدل من الكلمـــة العربيَّة على المعنى المراد . ولكن إذا أمـــن اللبس وأمن أيضًا تشويش ذهن القارئ أو السامع، فضلنا اللفظ العربي على اللفـــظ الأعجمي، فنقول: الأمراءُ أعضاءُ العائلـــة الخديوية، ولا نقول برنســـــات العائلـــة الخديوية. ونقول أمراء أوربا، ولا نقـــول برنسات أوربا .

ومن هذا القبيل (أي من قبيل الكلمـــات الأعجميَّة التي نفضل استعمالها أحيانًا على استعمـــال الكلمات العربية أو المعرَّبـــة قديمًا)، كلمة (داءِ المفاصل) فإننا قـــد نستعمل كلمة روماتزم بدلاً منها. وكلمة (توتيا) فإننا قد نستعمل كلمة (زنك)

بدلاً منها . وكلمة (نشادر) فإننا قد نستعمل كلمة (أمونيا) بدلاً منها مراعين في ذلك كلهِ مقامات الكلام من التخصيص والتعميم، وما نتوقعهُ من فهم السامع أو القارئ. مثال ذلك: أنك تجد في الأخبار العلمية في الجزء الماضي كلمة (روماتزم) بدلاً من داء المفاصل ، لأن المفهوم من داء المفاصل أنه يقع في مفاصل اليدين أو الرجلين، وقلّما يخطر على بال غير الأطباء أنه يصيب الظهر ، فلما رأينا أن الشفاءَ المُشار إليه في تلك النّبذة كان في الظهر اخترنا كلمة روماتزم، وقد صارت مألوفة عند الجمهور ، وذكرها لا يشوّش ذهن القارئ مثل ذكر كلمة (داء المفاصل) وإطلاقها على داءٍ في الظهر ، إذ المراد تأدية المعنى المطلوب إلى ذهن السامع من أقرب الطرق، وبأقل ما يكون من الكلفة فالمقام لا يسمح بأن يظهر الكاتب سعة علمه بألفاظ اللغة .

القاعدة الثانية :الكلمة التي لا نعرف لها مرادفًا في العربية، ولكننا نرجح أو نظن أن لها فيها مرادفًا، نفتش في ما عندنا من المظان ونسأل عنهُ ونبحث ، حتى إذا ظفرنا به ووجدنا أنه يؤدي المعنى المراد تمامًا استعملناهُ دون غيره من ذلك كلمة (mercenaries) فإن معناها الجنود المستأجرة من بلاد أخرى، على ما كانت العادة تجرى به في الأزمنة القديمة فلما أردنا تعريب هذه الكلمة، قلنا لابدَّ من أن يكون العرب استعملوا كلمة تدلُّ على هذا المعنى . فوجدنا في بعض المظان كلمة (مسترزقة) مستعملة للجنود المستأجرين. ومعناها الاشتقاقي يدل على معناها الاستعاري فاعتمدناها . ومنه كلمة (tributary) أي النهر الصغير الذي يصبُّ في النهر الكبير ، فإننا وجدنا لها في كتب الرحلات القديمة كلمة ناصر، والجمع نواصر . ورأينا أنه يسهل إدراك المراد بها من معناها الاشتقاقي، فعوَّلنا عليها، وهلمَّ جرًّا .

وإذا وجدنا أن اللفظ الأعجمي أو العامي الذي ليس عربيًّا كثير الشيوع، واستعمال غيره يضيع الفائدة على القراءِ اضطررنا أن نعدل عن اللفظ العربي أو اللافصيح إلى

اللفظ الأعجمي أو العامي، مثالُ ذلـــك: أننا وجدنا كلمة تقاوي مستعملة في هـذا القطر بدلاً من كلمة بذار. وكلمة السباخ البلدي مستعملة بدلاً من كلمة زبـــل . وكلمة كوبري مستعملة بدلاً من كلمـــة جسر. وكلمة طمي بدلاً من كلمة إبليز . وكلمة بوسطة بدلاً من كلمـــة بريـــد . فحاولنا في أول الأمر التشبث بالكلمـات العربية مثل بذار وجسر أو المعرَّبة منـــد عهد طويل، مثل: بريد، ولكننا رأينـــا أن تشبثنا هذا يضيع الفائدة علـــى جمـــهور القراء . فإن الفلاح المصري لا يســـتعمل إلاّ كلمة تقاوي ولا يفـــهم إلاّ كلمـــة تقاوي ولا يستعمل إلاّ كلمة كوبري ولا يفهم من كلمة جسر إلاّ حافة مجرى الماء. وإذا أسمعته كلمة بذار مرة في الأسبوع أو في الشهر سمع كلمة تقاوي مئة مـــرة أو ألف مرة . فرأينا أن محاولة تغيـــير لغـــة العامة في هذه الكلمات وأمثالها ضرب من العبث، وإضاعة للوقت، وتضييع للفائدة ، فحاريناهم في ما نكتبه لهم، أمَّا ما نكتبـــهُ لأنفسنا أي إذا خطر لنا خاطر وأردنـــا التعبير عنهُ نظمًا أو نثرًا، فإننا نعـــود إلى بذار وبريد، وجسر وإبليز . وأكثر الذيـن لا يراعون فهم الجمهور يكتبون لأنفسهم لا للجمهور .

القاعدة الثالثة : الأعلام الأعجمية الـــتي رأيناها شائعة الاستعمال كتبناها حســـب استعمالها سواءٌ كان قديمًا، مثل: إبراهيـــم ويوسف، أو حديثًا مثل: ألمانيا وأمريكـــا وفرنسا ووليـــم وهـــنري . والأعـــلام الأعجمية التي لم يكن استعمالها شـــائعًا كتبناها كما يلفظها أهلها أو بأقرب مـــا يكون من لفظها الأصلي مثل بيكنســـفيلد وكرومر وهارفي وروزفلت .

والأعلام التي عُرّبت منذ زمن قديم بلفـــظ مخالف لما تلفظ بهِ الآن عند أهلها، مثـــل: البندقية لفينيسيا، وصقلية لسيسيليا، فـهذه الأعلام نتابع الأقدمين فيها عنـــد أمـــن اللبس ، ولا سيما إذا كان الكلام عـــن حادثة تاريخية قديمة . فإذا ذكرنا حـــروب الأتراك مع أهل فينيسيا ، قلنا مع البُندقة. ولكن إذا أردنا أن نشير علـــى زارع أو صانع أن يجلب مادة ما لزراعته أو صناعته

من البندقية ، لم نذكرها بهذه اللفظة بـــل عدنا إلى كلمة فنيس أو فينيسا ، حتى إذا طلب البضاعة من تاجر أو عميل أوربي لم يخطئ هذا مراده .

والأعلام التي أخذها الإفرنج عن العــرب وحرفوها،مثل:القاهرة، وقرطبة، وإشبيلية، نكتبها حسب أصلها العربي إذا عرفنـــاهُ وأمن اللبس .

القاعدة الرابعة : في تعريـــب النكـــرات الجديدة التي لا مرادف لها في العـــربي إذا رأينا أن الكتّاب عربوها قبلنا وشـــاعت الألفاظ التي وضعوها لها، فالغالب أننـــا نجاريهم ولا نحاول وضع ألفاظ أخرى لها. ولذلك تابعنا أساتذة المدرســـة الكليـــة الســـورية في تعريـــب الأكســـــجين والهيدروجين والنيتروجين والفسفور وهلمَّ جرًّا . وجاريناهم في مثل مغنط فعلاً مـــن المغنطيس، وكهرب من الكهرباء، وترفـــن فعلاً يراد بهِ كسر جـــانب مـــن عظـــم الجمجمة بعملية جراحيـــة . وجارينـــا جمهور النـــاس في اســـتعمال التلغـــراف والوابور والسيمافو والفرقاطة .

وإذا لم نرَ أن الكتّاب سبقونا إلى تعريـــها عنينا باستعمال الكلمة التي نقدِّر لها طـول البقاء .فلما اخترع التليفون وقرأنا عنـــه بعد اختراعهِ ببضعة عشر يومًـــا، عرفنـــا مزيتهُ حالاً، وثبت لنا أنه سيشيع شـــيوع التلغراف في كل الأقطار،ويصل إلى بلادنا اسمهُ معهُ ، ولا يهتم التجار الذين يأتون بهِ بكلمة جديدة نضعها لهُ ، حتى فرضنا أننا وجدنا فعلاً عربيًّا معناهُ تكلم الإنسان مع غيره عن بعد واشتققنا منه اسمًا لهذه الآلة، فإن هذا الاسم لا يتغلَّـــب علـــى اســـم تستعمله الأمم المتمدنة كلها . ونرى الآن أننا أحسنّا؛ لأننا لم نخالف أمم العـــالم في الإغارة على اسم وضعـــه مخترع هـــذه الآلة لآلتهِ، وإبدالهِ باسم نضعه نحن لهـــا . وقس على ذلك الفونوغراف والميكروفون والأوتوموبيل .

ولما جاء بعض الأمريكيـــين إلى بـــيروت بالبيسكل - وكان يتكون من عجلتـــين إحداهما كبيرة جدًا، والأخرى صغـــيرة جدًّا ، وفي ركوبهِ مشقة كبيرة - ظننا أنه ليس مما يشيع استعمالهُ، وأن التريسكل ذا

العجلات الثلاث يتغلّب عليـــهِ ، فلـــم نستعمل الاسم الإفرنجي بيسكل ولكنّنـــا استعملنا كلمة درّاجة، وأطلقناها علـــى الآلتين. والدرّاجة كلمة عربية تؤدي المعنى المراد بسهولة، والإفرنج أنفسهم الذيـــن وضعوا كلمة بيسكل لـــذات العجلتـــين والتريسكل لذات العجـــلات الثـــلاث يعدلون عن الكلمتـــين أحيانًـــا كثـــيرة ويبدلون بهما كلمة سيكل أي عجلـــة، ولذلك فالسعاة في مصر يســـمون هـــذه الآلة "عجلة " وهم – بهذه التســـمية – أحكم منا ومنهم؛ لأنهم يستعملون هـــذا الاسم.

وغنيٌّ عن البيان أننا التزمنـــا أن نجـــاري العلماء في المصطلحات العلمية التي تفقـــد دلالتها بتعريبها كالحامض الكـــبريتوس، والكبريتيك،والمتاكبريتيك،والهيبوكبريتيك، والهيبوكبريتوس؛ لأن لكـــلٍّ مـــن هـــذه الملحقات والزوائد معنًى خاصًّا يدلُّ علـــى تركيب المادة المسماة بهِ، كما يعلم دارسو الكيمياء ، فمن يسمي الحامض الكبريتيك بالحامض الكبريتي كمن يسمي الفـــــرس حمارًا لأن لكلٍ منهما رأسًا وذنبًا، والتزمنا أن نجاريهم أيضًا في الأسماء العلميَّة كلـها، سواءٌ كـــانت حيوانيـــة، أو نباتيـــة، أو تشريحيَّة، أي سواءٌ كانت أسماء حيوانات، أو نباتات، أو أعضاء في جسم الإنســـان والحيوان والنبات ، جارين في ذلك كلـــهِ مجرى المسعودي، وابـــن ســـينا، وابـــن البيطار، ونحوهم من الأعلام الذين كتبـــوا في العلوم الطبيعيَّة على أنواعها . والذيـــن خالفونا في ذلك كان خطوهم أكثر مـــن صوابهم . مثال ذلك: أن الأطباء كلـــهم يسمون الشريان الكبير الخارج من القلب باسم الأورطي، وقد سماه ابن سينا كذلك ، وقال: إن أرسطو طاليس يسميهِ بهـــذا الاسم ، إلاّ أنك ترى في المقالة السابقة أن المرحوم الشيخ إبراهيم اليازجي لم يعجبْـهُ هذا الاسم فقال:يجب أن يترجم بـــالأبهر، ولكن صاحب القاموس يقول: إن الأبهـــر هو الظهر وعرق فيـــه ووريـــد العنـــق والأكحل . وقال صاحب التاج: إن أجمع الأقوال فيه قول ابن الأثير: إنـــه عـــرق منشؤهُ من الرأس، ويمتد إلى القدم.

ويُستنتج من كل ما قرأناه عن وصف هذا العرق أنه وَريد لا شريان ، وإذا ثبت أنه الأكحل، فالأكحل وريد حتمًا -كما نص عليه ابن سينا - وأما الأورطي فشريان، ويليق بكل المترجمين أن يطالعوا قانون ابن سينا ليروا كيف كان علماءُ العرب يترجمون هذا من حيث الألفاظ الأعجمية. أما المعاني فإما أن تكون حقيقة أو مجازًا، وكلٌ منهما إما أنه مألوف عند العرب وخلفائهم ، وإما أنه غير مألوف ، فهذه أربعة أنواع من المعاني المختلفة :

الأول: الحقيقي المألوف مثل ركوب الفرس وشرب الخمر ، فالمعاني التي من هذا القبيل نترجمها بما يدل على معناها فنقول: شرب الشاي وشرب الفسنت وشرب سر الملك أو نخبه، واستخرج الراديوم واستخرج الفنول .

والثاني: الحقيقي غير المألوف نترجمهُ بلفظهِ أو بما يقاربهُ ، كصوَّت لهُ وأطلق المدفع. فإن التصويت في الانتخاب معنى جديد لم يكن معروفًا على الصورة الحاضرة، وكذلك إطلاق المدافع؛ لأن المدافع لم تعرف عند العرب إلاّ في أواخر عهدهم في الأندلس بعد وضع اللغة. وأهالي الشام يقولون: قوَّس المدفع والبندقية، وهذه المقولة مستعارة من شدَّ قوس الوتر لرمي السهم. وقد نستعمل كلمة رمى من الرماية أي رمي السهام، فنقول رماهم بالقنابل أو بالطرابيد .

والثالث: المجازي المألوف مثل: أيقظ الفتنة، وأمات العواطف، ومزَّق الشمل، ووقف منهُ مزجر الكلب ، فإننا قلما نجد صعوبة في العثور على ما يرادفهُ في العربية.

والرابع: المجازي غير المألوف مثل: لعب دورهُ ، وذر الرماد في العيون ، وبعدي الطوفان. فالاستعارات التي من هذا القبيل نفتش أولاً عمّا يرادفها، أو يقاربها من الاستعارات العربيَّة، فإن لم نجدهُ واستحسنا الاستعارة الإفرنجية لخفَّة لفظها وسهولة إدراك معناها؛أبقيناها على حالها، أي ترجمناها ترجمة حرفية بتصرُّف أو بغير تصرُّف حاسبين أنها ربح تكتسبه اللغة. ويظهر لنا أن كل الذين تقدَّمونا من المترجمين الأولين، مثل: الطوسي، وابن

المقفّع، وابن حنين، جروا هذا المجرى حتى في ما وضعوه في العربية من الكتب والرسائل؛ ولذلك تجد لكلٍّ منهم تعابير خاصّة بهِ ليست من مناحي العرب .

فالحاجة إلى التعريب وأساليب التعريب لا يعرفها ولا يقوم بها إلاّ أصحاب كل فن في فنهم.فالجرّاح الذي قرن العلم بالعمل، والتعلُّم بالتعليم، يعلم ما تحتاج إليهِ صناعتهُ من التعريب، والصيدلاني الذي قرن العلم بالعمل، والتعلم بالتعليم، يعلم ما تحتاج إليه صناعتهُ من التعريب . وقس على ذلك الفلكي، والفسيولوجي، والبيولوجي، والجيولوجي، والنباتي، والرياضي، والنوتي، وقائد الجيش، وصانع الآلات والأدوات . وأما أن تقيم نحويًّا، أو منطقيًّا أو مؤرخًا، أو مُنشئًا لوضع كلمات في علم الفلك، وعلم الهندسة، وعلم النبات، وعلم الحيوان، والعلوم الطبيَّة، والطبيعية، والرياضيَّة، فمثل تخويلك قاضيًا تطبيب الأبدان، وطبيبًا تصوير الألوان. نعم إنه لابد من الاستعانة بعلماء اللغة الذين يحفظون متونها ويسهل عليهم استحضار ألفاظها ، ولكن يستحيل الاستغناء بهم عن العلماء المختصّين أو الذين لهم ألمام واسع بمختلف العلوم والفنون، وقد قرنوا العلم بالعمل زمانًا طويلاً، وخلاصة المقال أننا نبذل جهدنا في اجتناب الكلمات والأساليب التي ليست عربية ، فنفتش عن مرادفاتها، أو نترجمها بما يودي معناها إلاّ إذا وجدنا أنها قد شاعت وصارت مفهومة، أو أنها ستشيع حتمًا وتتغلب على غيرها، أو أنها أعلام لا تترجم . ولا نجهل أننا قصرنا مرارًا فاستعملنا ألفاظًا واستعارات غير عربية ولها ألفاظ واستعارات عربية ، ولكننا لم نفعل ذلك عن قصد إلاّ حيث وجدنا غير العربي أصلح من العربي .

هذا ومما يحسن ذكرهُ هنا أننا أطلقنا كلمة مكروب على كل الأحياء المكروسكوبيَّة قبل أن يطلقها عليها علماءُ أوربا وأمريكا فكنا نعرّب المقالة من مقالاتهم وفيها كلمة باشلس فنضع بدلاً منها كلمة مكروب ، وفيها كلمة بكتريا فنترجمها

بكلمة مكروب لكي لا نشوش أذهـــان القراء بذكر ألفاظ غريبة إنما يـــراد بهـــا تخصيص هذه الأنواع. ثم جعل الكتـــاب الأوربيون يجرون هـــذا المجـــرى أيضـــا فشاعت كلمة مكروب في كتاباتهم، كما شاعت عندنا ولا ندّعي أنهم فعلوا ذلـــك اقتداءً بنا كلاّ ، إنما الحاجة إلى الاقتصـــار على كلمة واحدة دعتهم إلى ذلك كمـــا دعتنا .

واللغة جسم حيٌّ نامٍ، وشأن من يحـــاول منعها من النمو شأن الصينيـــين الذيـــن يربطون أقدام بناتهم لكي لا تنمو وتبلـــغ حدها الطبيعي ، ولكن إذا كان النمـــو مُشوهًا فلابد من تقييده وتهذيبه. ولا يراد باللغة وأهلها أن تبقى ونبقـــى كمـــا كـــانت وكـــانوا في عصـــر البحـــتري والخوارزمي وإلاّ لزمنـــا ألا نتخذ غـــير الجَمَل مطيَّة وغير السيف سلاحًا . وهـذه خطة لم يجرِ عليها العرب بل نرى بـــين إنشاء أهل القرن الأول والثاني وإنشـــاء أهل القرن السادس والسابع نظمًا ونـــثرًا من الفرق الجلي مالا تجد أكثر منهُ بـــين إنشاء أهل هذا القرن وتلك القرون، كمـــا يتضح للباحث المحقق . ولو استطاع أحـد أن يُحصي كَم دخل العربية من العبرانيـة، والسريانية، والقبطيـــة، والروميـــة مـــن الألفاظ والتراكيب حتى قبل انصرام القرن الثالث، لوجد أن العربيَّة كانت حينئذٍ لغة حية نامية كالإنجليزية والفرنسية والألمانيـة الآن، وأن الذين يريدون الرجوع بهـــا إلى الصدر الأول، وإقفال أبوابها دون الجديـد يعملون على موتها وتضييق سبل المنشـئين والمعربين وناشرى لواء العلوم والفنون.

[المقتطف ج٣٣(يوليو ١٩٠٨م) ص٥٥٩ - ٥٦٥]

جعل العربية لغة التدريس في البلاد العربية سبيل إلى ترقية اللغة العربية وتعزيزها

(١٩٢٣ م)

بقلم الأستاذ أنيس المقدسي من مقال له حول وسائل ترقية اللغة العربية

اللغة العربية اليـــوم تحتـــاج إلى رجـــال متضلعين من آدابهـــا وتـــاريخ رجالهـــا ويعرفون فوق ذلك ما أنتجه الفكر الغربي

من أنواع العلوم والفنـــــون فيختـــارون الأفضل منها، ويمزجونه بمحاسن ما ظـهر في تاريخ العرب العلمي، ثم يبرزونه للناس أفكارًا صحيحة قد ألبسها البحث وحسن النظر ثوبًا لغويًّا جميلاً بعيدًا عن الســخافة والركاكة خاليًا من التشدق والتكلــف . ولا مشاحة أن للصحافة يدًا في ذلـــك، فيجب على الحكومة أن تسن القوانـــين لتمنع بها غير الأكفاء من ولوج بابها كمـا تفعل بالأطباء والصيادلة ومـــن جـرى مجراهم .

إن جعل العربية لغة التدريس في البلـــدان العربية هو أمرٌ مهمٌّ جدًّا، وربما كان أهم الوسائل لترقية اللغة ورفعها إلى مســتوى اللغة الحية . ولكن هذا مرتبط بحالة البلاد السياسية والعمرانية . وقد ألمحنا إلى ذلـك في كلامنا عن ترقية اللغة العربية لتصـــير لسان قومية قوية. لماذا يهمل أبناؤنا لغتهم ويتهافتون على اللغات الأجنبية ؟ ســؤال لابد من النظر فيه هنا . والجواب عليه ـــ لحاجتين سياسية واقتصادية. فالسياسية أن البلدان العربية اليوم تحت سيطرة الأجنبي، وذلك يقتضي نفوذ لغته وامتصاصها حياة اللغة الوطنية كما هو مشـــاهدٌ في كـــل مكان . والاقتصادية أن أكثر الأموال التي توظف في البلدان العربيـــة راجعـــة إلى شركات أجنبية ، وذلك كاف لتقويـــة النفوذ اللغوي الأجنبي فيها . ناهيك بـأن المهاجَرة وحدها تقتضي أن يكون للغـلت الأجانب تأثير عظيم جدًّا . فلا وســيلة إذن لتقوية اللغة العربية في أحوال كـهذه، إلا أن تدعمها الأحزاب الوطنية التي ترمي إلى الاستقلال، وأن تحمـــل الحكومـــات المسيطرة على البلدان العربية على احـترام لغة البلاد بجعلها وحدها اللغة الرسمية ولغة التدريس في المدارس الابتدائية والعاليـــة ، فتتقوى وينشأ فيها روح التأليف والتنقيب العلمي ويكثر المصنفون في اللغة العربيـة ، ويألف أبناء العربية مع الزمـــان الصـــور العلمية والاصطلاحات الفنية بلغتـــهم ، فيجرى الاشتقاق والتعريـــب والوضـــع مجرى طبيعيًا، وتصبح اللغة بيســـير مـــن الزمن لغة صالحة للعلم والحضارة الحديثة. وليس ذلك بمستحيل أو بعيـد، إذا أرادت

ذلك الشعوب العربية ، ولابد من دعـــوة عامة منظمة يقوم بها حزب وطني منظـــم تكون غايته إحياء اللغة العربية وتعميـــم نشرها . ويجب أن تبدأ هذه الحركـــة في مصر وسوريا؛ لأنهما منبـــع الحركـــات العلمية، وتأثير الأجانب فيهما أكثر مـــن تأثيرهم في سواهما، ومتى تم للبلاد ذلـــك فعندئذ يكفي أن يتعلم أبناؤها اللغـــات الأجنبية كما يتعلمون اليوم اللغة العربيـــة في المعاهد الأجنبية .

[الهلال ج ٣٢(١٩٢٣م)ص٢٤٥-٢٥٢]

تدريس العلوم بالعربية
في الجامعة الأمريكية
(١٩٢٣م)

بقلم سليمان أبي عز الدين

إن الاعتماد على لغة البـــلاد في تلقـــين العلوم لكل أمة لها وحدة جنسية ولغـــة صالحة للتعليم؛ أمر طبيعي وقاعدة عامة . فتلقينا العلوم بلغة أجنبية فيه شذوذ عـــن هذه القاعدة لا مبرر لهُ، بل هو مضر بنـــا علميًا ومضعف للغتنا وقوميتنا .

فالعلم أسهل تناولاً على الطالب وأرســـخ في ذهنهِ إذا درسهُ بلغتهِ التي رضعها مـــع اللبن مما لو درسهُ بلغةٍ أجنبيـــة . تفـــوُّق الكثيرين من مُتخرجي الجامعة في عـــهدها الأول عهد التدريس باللغة العربية يؤيِّـــد ذلك .

أما العدول عن التدريس بلغتنا؛ فإنه يضيق نطاق التأليف بها، كما أنـــهُ يحـــول دون اقتباسها كثيرًا من الاصطلاحات العلميـــة والفنية التي تساعد على نموها ؛ فبالاقتباس نمت جميع اللغات الحية ، واللغة العربيـــة نالت قسطًا وافرًا من ذلك في أثناء الفتـــح الإسلامي، وفي أثناء امتزاج الأمة العربيـــة بغيرها من الأمم ، وعندما نُقلت إليـــها علوم اليونان وغيرها في عهد العباسيين .

أما الضرر القومي من التعليم بلغة أجنبيـــة فظاهرٌ كل الظهور في جميع أنحاء ســـوريا حيث ترى القـــوم مختلفـــي المشـــارب والنـــزعات وقد تضعضعـــت أركـــان قوميتهم الأصلية دون أن يكتسبوا قوميـــة الأمة التي تلقوا العلوم بلغتها . وهذا مـــن أهم أسبابا ضعف مجموعنا رغمًا عمـــا هو مشهور عن قوَّة أفرادنا .

فمنعًا لهذه الأضرار يجب العمـــل بحـــزم وثبات عل إعـــادة التعليم باللغـــة العربية

وتذليل العقبات التي تحول دون ذلك .

أما المصاعب، التي يقال إنها اعترضت في سبيل التعليم باللغة العربية في ما مضى، فهي :

١-عدم وجود الكتب العربية اللازمة للتدريس .

٢-عدم وجود مطولات ومجلات علمية تمكن طلاب العلم من التوسع فيها وتتبُّع سير العلوم في تقدمها المتواصل .

٣-افتقار اللغة العربية للاصطلاحات العلمية الحديثة .

٤-عدم وجود أساتذة أكفاء يقومون بتدريس العلوم باللغة العربية .

وقد قيل أخيرًا بوجود عقبة خامسة وهي: أن التدريس باللغة العربية يحرم كثيرين من الطلبة الأروام والأرمن من تلقي العلوم فى الجامعة .

وفي ما يلى رد تفصيلي على كل اعتراض على حدة :

١-إن وجود كتب التدريس في العربية يتوقف على وجود التدريس بهذه اللغة؛ لأنها إذا وجدت و لم تستعمل للتدريس فإنها لا تصلح لأي غرض آخر، وسيضيع كل ما ينفق عليها من الوقت والمال سدًى .

فقرّروا التدريس باللغة العربية تنشأ الكتب اللازمة لها . فالمقدرة على التأليف موجودة، ورواج الكتب مكفول؛ لأن نطاق المعارف في بلادنا آخذ في الاتساع، ومدارس دمشق والعراق لغتها العربية ، كما أن الحكومة المصرية قد شرعت في تحويل التدريس إلى اللغة العربية .

٢-أما قلة عدد المطولات والمجلات العلمية فناشئٌ عن حصر التعليم بلغات أجنبية، وهذا يجعل أهل العلم أكثر طلبًا للتبحر في العلوم في كتب اللغة التي تلقوا دروسهم بها ، على أنه رغمًا عن هذا فقد أدّت النهضة العلمية الحديثة إلى تأليف بعض المطولات وإنشاء مجلات علمية وفنية باللغة العربية كالمقتطف، والمجلة الطبية المصرية، والمجلة التجارية، ومجلة المضمار التي تبحث في مواضيع الرياضة الجسدية .

٣-إذا صح الزعم أن اللغة العربية مفتقرة إلى الاصطلاحات العلمية الحديثة؛ فهي

تستوي في ذلك بغيرها من اللغات، فسائر اللغات الحديثة اقتبست ما افتقرت إليه من اللغات القديمة كاليونانيـــة واللاتينيـــة . واللغة العربية في كل عصر كانت تقتبـس من غيرها ، كما أن غيرها اقتبس منـــها. فإليها نُقلت قبلاً علوم الأقدمين وفنونهـــم وفلسفتهم ومنها نُقلـــت إلى اللغـات الأوربية ، وبها كان التدريس في جميـــع الأقطار العربية حينما كانت بضاعة العلـم رائجـة في العـراق وسـوريا ومصـر والأندلس. وأهم أسباب العـدول عـن التدريس بها في القطر المصري سياســية لا فنية . وهاهي الحكومة المصرية الحاليـة تنوي الرجوع إلى التدريس بها ، ودمشـق والعراق معتمدتان عليها . فكل ما تقـدم يسقط حجة القائلين بعـدم صلاحيتـها للتعليـم لافتقارهـا إلى الاصطلاحـات العلمية .

٤- إن وجود عدد غير يسير من الأساتذة الوطنيين في الجامعة الأمريكية،وفي المكتب الطبي الفرنسي في بيروت وفي مـدارس الحكومة في دمشق وبغداد؛ من الأمـور التي تدحض قول القائلين بعـدم كفايـة أساتذتنا لتدريـس العلـوم؛ فالكفايـة والكفاءة تتوقفان علـى الاستعـداد الفطري والاقتباس بالدرس والممارسـة . ولا أظن أن أحدًا ينكر على السـوريين حسن استعدادهم الفطري ولاسـيما أنّ أمر الدرس والممارسة ميسرٌ لمـن شـاءَ، ومدارس أوربا وأمريكا مفتوحة أبوابها لمن طلب التوسـع والتخصـص . والخطـة الحكيمة التي اتخذتها الجامعـة الأمريكيـة بإيفاد أساتذتها إلى جامعات الولايات من الأمور التي تساعد على استيفاء شـروط الكفاية . ونحن نسلم بأنـه لـو كـان المطلوب تحويل التعليم من الإنجليزيـة إلى العربية دفعة واحدة؛ لشعرنا بالافتقـار إلى أكفاء لتدريس بعـض العلـوم ، ولأن غرضنا هو التحويل التدريجي، والشـروع فيهِ من الصفوف الابتدائية، ثم التـدرج منها إلى الأعلى فالأعلى، سنة فسـنة ، ومن ثمّ يتسع الوقت لاستعداد الأسـاتذة الأمريكيين والشرقيين لتلقين العلوم الـتي يدرّسونها بلغة هذه البلاد .

[مجلـــة الكليّـــة ج٩(١٩٢٣)ص١١٧-١٢٠]

مستقبل اللغة العربية
مرتبط بالمستقبل السياسي والعمراني للمتكلمين بها .
(١٩٢٠م)

أنطون الجميّل في ردّه على استفتاء مجلة الهلال حول مستقبل اللغة العربية

المعروف أنه لا قيام للغة إلا بقيام دولـــة تؤيدها وتناصرها . وعلى قدر ما يكـــون نفوذ الدولة وبَسطةُ أملاكها ونُمو عمرانها بين الدول، يكون مقام لغتها بين اللغات؛ هكذا كان شأن اليونانية في عصر أبطـــال الإغريق ، واللاتينية في عـــــهد قيصـــر ، والعربية في زمن بني العباس، والفرنسية في عصر لويس الرابع عشر ، والإنجليزيـــة في أيامنا هذه.

[الهلال ج٢٨(١٩٢٠)ص٥٨٥-٥٨٧]

فما أشبه أمسِ باليوم !

أحمد شفيق الخطيب

عضو المجمع المراسل

من فلسطين

توحيد التعريب في البلاد العربية

الصعوبات والحلول

للأستاذ الدكتور يوسف عز الدين

ضرورة التعريب :

إن تعريب العلوم والفنون والآداب من اللغات الأجنبية ضرورة حضارية؛ لأنه النافذة التي نطل منها على حضارة الغرب ، ونعرف مسيرته الفكرية وتطوره العلمي وتقدمه التكنولوجي ؛ فتصبح الرؤية واضحة أمامنا لواقعه الحضاري وتطوره التقني.

والتعريب يعيد ثقة العالم العربي بنفسه وبعلمه وقدرته الشخصية على الإنتاج والإبداع بلغته ، فتتطور وينفسح المجال العلمي أمامه ، ويُزْكي التطور في جذوره الأصالة في نفسه؛ فيتسع أفقه في تجاربه، فيطور مادته، ويجدد في أسلوبه عندما تكون المخترعات الحديثة طوع يديه، ويصبح قادراً على الاستفادة الكاملة منها .. ولا يكون مستعمَلا أو مستهلكًا لها دون أن يقدر على صيانتها وإدامتها والسيطرة على عملها بسهولة ويسر .إن فهم الآلات الصناعية ومعرفة أسلوب تشغيلها خير سبيل للسيطرة على المخترعات، والاستفادة منها الفائدة المرجوة من الباحث والدارس والتاجر والعالم .

والتعريب قادر على احتواء الحضارة المعاصرة مهما تعددت أشكالها وقواعدها العلمية .. وبذلك لن نستورد الآلات والمصانع والخبراء؛ لأن الاستيراد والاستهلاك لن يكونا حضارة متقدمة إذا لم نسيطر على المخترعات ونصنعها في أوطاننا وسوف نكون عالة على ما يُصدِّر لنا الغرب بحسب هواه ورغبته .. وهذه اليابان ،والصين ،وروسيا ، وأخيرًا ماليزيا، وتايوان، وكوريا لم تتقدم إلا بعد احتواء هذه المخترعات،وبعد أن

فهمت أسرارها، صنعت مـــا يفيدهـــا؛ لأنها ترجمت إلى لغاتها كل مـــا كتـــب عنها لكـــي تفهمـــها فـــهمًا دقيقًـــا ، ويسيطر أبناؤهـــا عليـــها دون وســـاطة الخبراء الأجـــانب والمهندســـين الذيـــن يصحبـــون هـــذه الآلات إلى بلادهـــم؛ فالعـــالم الـــذي درس العلـــوم بلغتـــه سيســـتوعب أدق الأجـــزاء وأوســـع التجـــارب والخـــبرات في الآلات الـــتي تصنعها الـــدول الصناعيـــة المتقدمـــة، ومـــتى اســـتوعب الأمـــور الدقيقـــة في التجربة العلمية والآلة الحديثـــة فســـوف يثق بنفسه ؛ لأنه يشعر بـــالقدرة علـــى الفـــهم والاســـتيعاب ،فيحـــترم لغتـــه ويتفـــاعل بهـــا مـــع العلـــوم الحديثـــة ويطورها ، ويبـــدع في تجاربـــه ولـــن يحـــس بـــالنقص أو الانبـــهار أمـــام التكنولوجيـــا الغربيـــة، والنظريـــات العلمية المتطـــورة .

إن استيعاب العالم لمفـــردات لغتـــه وفهم ألفاظـــها وجذورهـــا الحضاريـــة يسهل عليه التطبيق الميـــداني، والدراســـة النظرية؛ لأنه فهم محتويات المـــواد الـــتي تعامل معها بلغتـــه وعـــرض مكوناتهـــا وموادها بدقة وعمق ، وانفتح أمامـــه ميدان الفكر العلمـــي.

فالتعريب عامل مـــهم في الإبـــداع في التجـــارب العلميـــة والمســـتحدات الحضارية العلمية المتطـــورة .. ويصبـــح العالم العربي عاملاً مســـاعدًا في تطويـــر العلوم المعاصرة ويشـــارك في مضمـــار التقدم العلمي والتقـــني.

ولعل من أهـــم فوائـــد التعريـــب التخلص من الاستلاب النفسي، الـــذي يحدث عند بعض الدارسين والمفكريـــن عندما يقارن بين واقعة العلمـــي وبـــين العـــالم المتطـــور، ويعجـــب بـــالغرب وعلومه ولغتـــه. فقـــد أيقـــن بعـــض الدارسين أن لغـــة الغـــرب هـــي لغـــة القـــوي المتطـــور ولغـــة الـــذرة، والصـــاروخ، والحاســـب الآلي، وفيـــها ضمان للانفتاح على العـــالم والتخلـــص من الازدواجية النفسية التي يعاني منـــها وانفصام الشخصية الـــذى آذاه .

المعرب والمترجم :

هناك اختلاف واضح بين الترجمة والتعريب فعلى قدرة المترجم وفهمه اللغات يكون قادراً على فهم العبارة وتعريبها وصياغتها بأسلوب عربي فصيح وصياغة عباراته بحسب الذوق العربي السليم .. وهناك صلة لا شعورية بين اللغة والفكر الإنساني، يتحكم فيها المترجم لجذور اللغتين وتاريخهما، وتظهر في انتقاء الألفاظ وصياغة العبارات، ومن فهم الاختلاق الجذري يكون قادراً على تعريب المعاني ووضع المصطلحات بسهولة ويسر؛ لأن الدقة العلمية وفهم الألفاظ وجذور الكلمات تعين المترجم على الصياغة السليمة والأسلوب الفصيح، وتكون النتائج العلمية دقيقة ؛ لأنه سوف يبتعد عن الاقتباس اللغوي الكامل والحرفي، بعد أن استوعب العلوم التي يعرب منها ويصبح شديد الوعي بالذات الحضارية وبلغته وجذورها .

الاستجابة النفسية :

إن اقتناع المترجم والمعرب بجهده العلمي، وثقته النفسية، وإيمانه بقدرة لغته من أهم العوامل التي تظهر على عملية التعريب؛ لأن التعبير الداخلي يظهر على الكلمات والألفاظ والجمل التي يعربها ومتى أحس باللذة الروحية فسوف تؤثر في عمله الذهني وإنتاجه العلمي؛ لأن صلة اللغة بالعلوم والفنون والآداب صلة تفاعل عميقة الجذور. وعلى قدر سبرغور العلوم وفهم اللغة يكون الإقناع النفسي بجدوى عمله، واتساع مداركه في فهم الأجزاء الدقيقة التي احتوى معانيها وعرّبها وبخاصة أن قدرة اللغة العربية وطاقتها الكبيرة من العوامل المساعدة على الفهم الدقيق؛ لأن إرثها التاريخي والحضاري زاخر بالقابلية الواسعة، وأن غناها بالمفردات والمرادفات والاشتقاق تساعد المعرِّب على مرونة العمل وحرية التعريب .

مصر الرائدة :

وقد نجحت عملية التعريب في مصر عندما آمن القائمون عليها في زمن محمد علي باشا بأنهم يخدمون أمتهم؛ فقد كانوا من الأزهريين ذوي الثقافة العربية الأصيلة وترجموا كتب الطب، والفلك، والكيمياء ،والفيزياء ولو استمرت هذه العملية لوفرنا على أنفسنا كثيرًا من الجهود والعناء النفسي، وتخلصنا من القلق الروحي وضياع الثقة باللغة العربية وبقدرة النفس العلمية والإيمان بأمتنا. وقد بقيت اللغة العربية صامدة برغم حكم الدولة العثمانية، والفرس، والمماليك، والإنجليز، والطليان، والفرنسيين، والأسبان للأقطار العربية . بل احتوت هؤلاء وأصبحوا بفضلها مسلمين وتأثروا بحضارتنا وعلومنا .

هناك اختلاف كبير بين العقلية الشرقية والعقلية الغربية، وقد انبهر بعض الدارسين بالغرب لقوته، وتاه وقلق؛ لأنه لم يدرس حضارة الإسلام وجذور اللغة العربية؛ لذلك وجدنا هؤلاء يحومون حول النص ولا يقدرون على التعريب الدقيق؛ لأنهم كانوا بعيدين عن إحدى اللغتين، فقد فكروا باللغة الغربية فكان تعريب النص غير مفهوم عربيًّا، وعندما يفكر العربي بلغته يبتعد عن القيد اللغوي الأجنبي فيجيد في التعريب بعد قراءة النص؛لأنه استوعبه وفهمه.

لذلك كان المعربون المصريون زمن محمد علي باشا قادرين على فهم النص الغربي؛ لأن لهم قاعدة عربية أصيلة، إذ فرض محمد علي باشا التعريب على أعضاء البعثات التي عادت بعد الدراسة ووجدنا في تعريبهم سلامة اللغة وفصاحة الألفاظ ودقة الكلمات، ومن هذه الكتب التي عربت :

١- الأزهار البديعة في علم الطبيعة ، تأليف مسيو بيرون معلم الكيمياء بمدرسة الطب ، جمعه من كتب الفن الفرنسية وترجمه يوحنا عنحوري، مع

مساعدة المؤلف لمعرفته اللغة العربية، وصححه يونس الواعظ المصحح .

٢- التشريح العام ، تأليف كلاز، ترجمة عيسوي النحراوي، وصحح الكتاب عوض القناتي وعلي العدوي وقابله مع بيرون الكيماوي .

وقد وضعت المؤسسات العلمية زمن محمد علي باشا معجمًا كبيرًا في عدة مجلدات سُمِّي قاموس القواميس الطبيعية .

ولابد من ذكر الجهود العلمية الأخرى في إصدار يعسوب الطب، التي كانت تختار المقالات العلمية من مختلف المصادر وتنشرها، وجهود روضة المدارس في هذا الصدد .

الصعوبات أمام التعريب :

تقف أمام توجيد التعريب بل التعريب نفسه، كما كان في الجزائر، عدة عقبات مصطنعة منها :

١- عدم إيمان بعض الدارسين بالتعريب نفسه، إذ يضع الدارس العقبات قربًا من التعريب، وكسلاً من ممارسته وشعورًا بالنقص فيظن اللغة الأجنبية تكسبه زهوًا وفخرًا .

٢- الاعتذار بأننا يجب أن نعرِّب كل ما صدر عن الغرب من العلوم، حتى تكون المعلومات العلمية متوافرة؛ ليكون التعريب سهلاً عليهم، وتكون لدينا حصيلة لغوية كافية .. وهذا العذر بعيد عن الواقع؛ لأن عملية الانتظار حتى يتم هذا التعريب سيضيع فرصًا من الاستفادة من التطور السريع للاكتشافات العلمية، ونحن بحاجة إلى مسايرة الركب الحضاري .

٣- الادعاء بأن التعريب سوف يكون سببًا في تدني المستوى العلمي . فهل هبط هذا المستوى في اليابان، والصين، وروسيا، والدول التي تدرس العلوم بلغاتها؟ أم أنها أبدعت وتقدمت وتطورت ؟ لقد حدث العكس ،فقد جاء التطور نتيجة فهم النظريات العلمية الجديدة بلغاتها وممارسة التجارب الكثيرة في الأمم

الأخـــرى، كمـــا أن بعـــض الأقطـــار العربيـــة، تدرس العلوم باللغـــة العربيـــة، وقد تفوق الخريجون منـــها لمـــا ذهبـــوا لإكمـــال دراســـاتهم العليـــا في بـــلاد الغرب.

٤- ادعاء بعض الدارسين بـــأن اللغـــة العربيـــة لا تســـتوعب المصطلحـــات العلمية للمخترعـــات الجديـــدة، وقـــد برهن مجمـــع اللغـــة العربيـــة بالقـــاهرة والمجامع العربية الأخـــرى علـــى خطـــأ هذا الرأي بما أصدرت مـــن معجمـــات متعددة في مختلف العلـــوم، إضافـــة إلى أعمال المؤسسات العلميـــة والجامعـــات ومراكز التعريب، التي سهلت الدراســـة والبحث العلمي الرصين باللغـــة العربيـــة لطلاب العلم الذيـــن يدرســـون باللغـــة العربيـــة .

٥- القـــول بـــأن المصطلحـــات الـــتي وضعـــت لا تطـــابق المعـــنى العلمـــي والحقائق الحديثة . ونســـى هـــؤلاء أن المصطلـــح هـــو مـــا اصطلـــح عليـــه المختصون في أمر مـــن الأمـــور، فقـــد وضع الإسلام كلمات جديدة لم تكـــن معروفة بهـــذا المعـــنى قبـــل ظـــهوره، فالزكاة معناها نماء الشـــيء، والصـــلاة أصلها الدعاء ثم أطلقت علـــى شـــعائر محددة معروفة ، والكفر معناه التغطيـــة، فقوله تعالى : "أعجب الكفـــار نباتـــه" أي: الـــزراع؛ لتغطيتـــهم البـــذور في الأرض والســـتر وغيرهـــا مـــن المصطلحات. وقد أورد ابـــن فـــارس في فقه اللغة الكثير من هـــذه المصطلحـــات والمعـــاني ..

ومما لاشك فيـــه أن هـــذا القـــول الخـــاطئ جـــاء نتيجـــة الانعزاليـــة والإقليميـــة .

٦- جـــهل بعـــض الدارســـين باللغـــة العربيـــة ومعرفتـــهم المحـــدودة باللغـــة الأجنبية، حال دون اســـتيعابهم لعمليـــة التعريب بصـــورة دقيقـــة فلجـــؤوا إلى اتهام اللغة العربية بعـــدم قدرتهـــا علـــى احتواء نصوص اللغة الأجنبيـــة وعـــدم قابليتها لهضم المصطلحـــات العلميـــة في استيعاب معانيها ومضمونهـــا .

٧- عدم وجود أجهزة للتنسيق بين المؤسسات العلمية والتعاون فيما بينها كالجامعات، والمجامع، ومؤسسات التعريب فكل مؤسسة تعرب ما تريد، وتظهر عدداً من المصطلحات المتنافرة فتحول دون توحيد عملية التعريب والاستفادة من الخبرات الكثيرة التي يبذلها العلماء .

٨- قلة المصادر العلمية في المكتبات العامة، ومكتبات الجامعات، والمجامع لكي يستفيد المعرب من وجودها ويرجع إليها طالب العلم ليقوي قابليته لفهم العلوم الجديدة. فمن الضروري إنشاء مكتبات متخصصة تخدم الفكر العلمي والبحث الدقيق لتكون بين يدي طلاب العلم .

تعريب العرب :

إن من يدرس ما ينشر في الصحف ووسائل الإعلام، ويتصل بالجمهور العربي في كل مدينة يجد تفشي الكلمات الأجنبية في الصناعات المتعددة بل حتى في طعامنا نجد كلمات لا يفهمها إلا أبناء القطر الواحد، مع أن اللغة العربية تدرس في المدارس والجامعات والمعاهد .

وقد سمعت أن بعض مدرسي اللغة العربية يدرسونها باللغة العامية مثل تدريس الكيمياء والفيزياء، والطب، ويجب أن نتذكر الجهود المضنية التي بذلها الرسول- صلى الله عليه وسلم- حتى جمع العرب على لغة قريش التي نزل بها القرآن الكريم؛ فقد تفرقت هذه اللغة واختلفت ؛ وأخشى اليوم الذي يقال فيه لغة القاهرة، ولغة الإسكندرية، والرياض، والطائف، والموصل، وصنعاء، والرباط، وغيرها من البلدان العربية، كما حدث في اللغات الأوربية .. فتسمع في الشارع شكمان، ومارشير، وكنداسة، وساندويج، وكفرات، وتايرات، وترنجات، وطربيزة، وجربايه، وكويل، والشوب، والطور. وها أنا أقدم قائمة ببعض الألفاظ في البلاد العربية :

مصر: معلقـــة ، فـــرن ، لـــب ، فـــول سوداني، علبة ، مفـــك .
العراق : خاشوكة ، مخـــبز أو تنـــور ، حب، فستق عبيد ، قوطية ، درنفـــيز.
ليبيا : كاشـــيك ،كوشـــة ، زرعيـــة ، كاكاوية ، حكية ، كشـــفيتة .
المملكة العربية السعودية: ملعقـــة، مخـــبز أو تنور، فصفص، لوز، علبة، مفـــك.
سوريا : خاشوكة ، فـــرن أو تنـــور ، بزر ، فستق ، علبة ، مفـــك .
ومن المصائب أنني سمعت بدويًـــا يقـــول لصاحبه (أوكي)، وهناك أكـــثر مـــن إذاعة لبنانية تتحدث باللهجـــة اللبنانيـــة ولا أدري إن كانت لغـــة بـــيروت، أو لغة صيدا، أو صور هي الـــتي تتحـــدث بها .

الحلول المقترحة لوحدة التعريـــب :

١- وضـــع صيـــغ علميـــة موحـــدة ومصطلحات متشـــابهة؛ ليســـهل علـــى الدارس فـــهم النـــص العـــربي في كـــل أقطار الدنيا العربية بصـــورة واضحـــة، وقد سهلت المؤسســـات العلمية هـــذه الخطوة وإن اختلفت المســـميات .

٢- تدريس لغـــة أجنبيـــة مـــع اللغـــة العربية لتســـهيل العـــودة إلى المصـــادر الغربية؛ لأن الطالب مـــتى أتقـــن لغتـــه ولغة أجنبية أخـــرى فســـوف تســـهل عليه الاستفادة من المصـــادر والمراجـــع، فيعد الدارس إعداداً علميًّا علـــى أســـس قوية واتجاه ســـليم، وإذا بـــدأت هـــذه العملية من المـــدارس الثانويـــة فســـوف يكون الطالب مســـتعدًّا لفـــهم النـــص العـــربي والأجنـــبي في وقـــت واحـــد وسوف تكون الدراسة بالعربيـــة ســـهلة عليه نظرًا لطاقته الفكريـــة.

٣- ضرورة التنســـيق والتنظيـــم بـــين المؤسسات الـــتي تعـــنى بـــالتعريب في الوطن العـــربي؛ لأن التنســـيق لا يكـــاد يذكر بـــين أصحـــاب الاختصـــاص ، وتبـــادل الخـــبرات والتجـــارب يتـــم بالاجتماعات الدورية، وقـــد فكرنـــا في العراق في هذه الاجتماعـــات وعقدنـــا أول اجتماع في بغداد، ثم في القـــاهرة، ولكـــن الأقطـــار العربيـــة الأخـــرى لم

تستحب لهذا التنظيم والتوحيد والتنسيق.

٤- عقد دورات ولقاءات دورية يتبادل فيها المختصون الخبرات والنتائج التي توصلوا إليها في التعريب وإجراء مناقشات واسعة النطاق في هذا الصدد .

٥- ولتسهيل عملية توحيد التعريب لابد من وضع ضوابط عامة، وقواعد محددة لأساليب التعريب يسير في هديها الدارس والمعرب، ويجب أن تعمم على المختصين للأخذ بها. ووضع هذه القواعد من مهمة المجامع ومراكز التعريب والجامعات .

٦- وقبل كل هذا لابد من وجود المراكز العلمية للتعريب - وهي موجودة في بعض الأقطار العربية - مهمتها المساعدة على العمل، وتسهيل مهمة المعرب ، وطبع المؤلفات وإصدار نشرات دورية ومجلة خاصة بالتعريب، والوقوف أمام الانعزالية والإقليمية التي تحول دون تبادل الخبرات والتجارب بين هذه المؤسسات .

٧- إصدار نشرات ومجلات موحدة الهدف تجمع ما توصلت إليه هذه المؤسسات من مصطلحات، وآراء وتجارب، وخلاصة الأمور التي تهم المعرب التي تصدرها المؤسسات العربية ، والعمل على تنسيق جهودهم وتنظيم عملية التعريب ، تكون بين يدي القارئ للاستفادة اليومية منها، وتباع بثمن رمزي وتستدرك على ما تجده في المؤسسات من ترجمة المقالات العلمية.

وقد سبقنا إلى هذا العمل رفاعة الطهطاوي عندما أصدر مجلة (روضة المدارس) الصادرة ما بين عامي ١٢٦٥ و١٢٦٨هـ ، و(روضة المدارس) تجربة رائدة ،مع (يعسوب الطب) التي كانت تختار المقالات الجديدة من المجلات الغربية وتترجمها وتضعها بين أيدي الدارسين .

٨- التعريب الميداني، وقد قامت المجامع بتعريب الكثير من أدوات السيارة والمكائن، والحرف وأخذت الجيوش العربية تستعمل أسماء آلات الحرب باللغة العربية، بعد أن صدر المعجم العسكري الذي أصدرته جامعة الدول العربية .

ويمكن أن يبدأ التعريب الميداني في المدارس الصناعية، والمعاهد الجامعية؛ ليخرج المهندس وهو مزود بأسماء الآلات العربية، وينشرها بين العمال عندما يدخل الحياة العملية في المصانع، والمعامل؛ لتكون أكثر انتشاراً بين أبناء الحرف .

٩-ويمكن الاستفادة من المصطلحات العربية في التراث العربي بالعودة إلى كتب العلوم عند العرب، كما استفادت حركة التعريب في زمن محمد علي باشا وأخرجت الألفاظ والمصطلحات التي استعملها العرب، وأخرجت الحركة الألفاظ والمصطلحات القديمة من معانيها إلى المعاني الجديدة؛ لتلائم حاجات الحضارة المعاصرة وفقًا للأسلوب العربي، وقد اخترع هؤلاء بعض الكلمات ووصفوا بعض المصطلحات التي لم يجدوها في هذه الكتب، وكان المعرب فى ذلك الزمن أزهريًّا شديد الفهم وكان يقابل المؤلف الأجنبي بعد أن تتم ترجمة الكتاب، ولا شك فى أن كتب التراث كثيرة المصطلحات، فقد استفاد الغرب من (القانون) في الطب لابن سينا وبقي مصدرهم حتى القرن السابع عشر ، كما استفادوا من كتب الحسن بن الهيثم، والخوارزمي،ومن هذه الكتب:

١- الحاوي في الطب للرازي .
٢- مفاتيح العلوم للخوارزمي .
٣- مصنفات في علم الكيمياء لجابر بن حيان .
٤- مقالة في الضوء للحسن بن الهيثم .
٥- القانون في الطب لابن سينا .
٦- جامع مفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار .

وغيرها من كتب العلوم والفلك والجغرافيا .

إن الأسلوب العلمي الذي وضع في فترة محمد علي باشا ، فترة انتقال حضاري ، وبعث علمي ، ونهضة جديدة. وقد تطور العلم الآن تطوراً كبيراً، اختلفت فيه الأساليب العلمية في البحث بما وصلته المخترعات الحديثة، لكن يمكن الاستفادة من هذه المرحلة فقد كانت أول مرة يلتقي فيها علماء الأزهر بالعلوم الحديثة ، ولهذا كانت تراكيب اللغة جديدة والمصطلحات متقنة وإن اختلف المعاصرون معها، ولكنها تعطينا طريقة التعريب، وتظهر حرصهم على اللغة.

النشر الواسع :

قلت إن نشر ما تصل إليه المؤسسات العلمية ، من الضروريات الأساسية لتوحيد التعريب، وأنا أعود فأؤكد على ضرورة وصول جميع الآراء والأفكار إلى جميع المؤسسات بتبادل الخبرات والتجارب، وإن كانت هذه النتائج مختلفة فيمكن فلا مانع من وضع أكثر من مصطلح لكلمة واحدة؛ لأن النشر في المؤسسات العلمية مازال محدوداً ، وتحكمه عدة عوامل ، من أهمها الضيق المالي الذي تعاني منه هذه المؤسسات ، مع شح الدول عليها بالمال الذي يساعد على اتساع الانتشار .. وأتمنى أن تؤسس مطابع خاصة بكل مؤسسة ؛ لتتمكن من طبع النتائج بأعداد كبيرة، وإنشاء هيئات علمية خاصة تنشر نتائج التعريب من معاجم، ومجلات،وكتب علمية مختصة بفروع المعرفة وينـاط بهذه الهيئات صلاحيات لتشجيع التعريب وطبع إنتاج العلماء على نطاق واسع على أن تباع هذه المطبوعات بأسعار رمزية لتزيد من التوعية العامة عند أكبر عدد من الناس .

الجامعة العربية :

إن جهود الجامعة العربية محدودة في التعريب، ونشر اللغة العربية.

ويمكنها مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم من الإسهام في توحيد هذه العملية القومية ، وفي الجامعة العربية اتفاقيات ثقافية مشتركة صدرت عن الحكومات العربية سنة ١٩٤٦ م، ومنها المادة التاسعة التي تنص على الوصول باللغة (العربية) إلى تأدية جميع أغراض التفكير والعلم الحديث، وجعلها لغة الدراسة في جميع المواد في مراحل التعليم في البلاد العربية ، ووحدة التعريب أهم قاعدة ترتكز عليها هذه الأغراض .

ومع كل ما يبذل من جهد كبير في الجامعات العربية والمجامع والمؤسسات فلم تحقق وحدة التعريب ما نرجوه لها من انتشار، وكنا نأمل أن تلتزم هذه المؤسسات بوحدة التعريب بالتنسيق والتعاون، وتبادل الخبرات، وكثرة الاجتماعات، ولكن حوائل كثيرة رسمية وغير رسمية تعوق هذا التنسيق وأهمها: قلة المال، وعدم تشجيع الحكومات على الفكرة بالقياس إلى المصروفات التي تصرف على الحفلات والزيارات والمجاملات المتعددة .

إن عملية توحيد التعريب تسير ببطء مع ما تبذله المؤسسات العلمية من جهود كبيرة، وعلى الحكومات مؤازرة هذه الجهود لجعل اللغة العربية لغة العلم والفكر، والشارع، والمهنة، والوقوف أمام وسائل الإعلام التي تنشر اللهجات العالمية بكل جرأة .

ولابد أن أنوه بالعمل الذي قامت به الجزائر، وجهودها في تطبيق قانون اللغة العربية الذي جُمِّد فترة طويلة، إذ صادق المجلس الوطني الانتقالي (مجلس الأمة المؤقت) في ١٩٩٦/١٢/١٧م على تعميم اللغة العربية ورفع التجميد عن القانون، الذي صدر في ١٩٦١م، وأدعو الله أن يأخذ بيد المخلصين لتطبيق هذا القانون وأن ينتبهوا إلى الصعوبات والعراقيل التي سوف توضع أمام هذا التطبيق .

الخاتمـــة :

إن توحيد التعريب،ونحـــن في هـــذه المرحلة، أسهل من أن تمر فـــترة طويلـــة ويستحيل فيها تحقيـــق هـــذا الهـــدف؛ فالعالم يتقـــدم بســـرعة صاروخيـــة في جميع المجـــالات العلميـــة، والفكريـــة، والفنية، وأصبحت حـــتى اللغـــة الـــتي يدرسونها ويتحدثـــون بهـــا ويضعـــون مصطلحات فى ضوئها تضيـــق بكـــثرة هـــذه المخترعـــات والتطـــور العلمـــي الكبير فما موقفنا نحن ونحـــن في بدايـــة الطريق إن كنـــا قـــد عرفنـــا الطريـــق السليم نحو أهدافنـــا العلميـــة بصـــورة واضحـــة ؟

إن من أول الخطوات الـــتي يجـــب أن نخطوها تنسيق الجـــهود في حركـــة التعريب، والتعاون العلمـــي، والتنظيـــم الإداري في جميـــع الموســـســـات والجامعات والمجامع، ويحـــاول مجمعكـــم القيام بكل طاقاته عندما تبـــنى (اتحـــاد المجامع العربية) لأن توحيـــد التعريـــب هو الخطوة الحضارية والقـــاعدة القويـــة في التطـــور العلمـــي والتكنولوجـــي .. وتكون هذه القاعدة قائمة على وضـــع تشريع أنظمة وقوانين تســـن في الـــدول العربية، وعلى رأسها الجامعـــة العربيـــة الـــتي تشـــرع قبـــل ذلـــك في إعطـــاء امتيـــازات خاصـــة للمعرّبـــين ،ومـــن يقفـــون عمرهـــم في خدمـــة توحيـــده ودفع عجلته إلى الأمام؛ لإتمـــام الغايـــة المنشودة من التطور الحضـــاري للأمـــة العربية وتجنيد العلماء في خدمـــة هـــذا الغرض؛ لنقـــل علـــوم الغـــرب كمـــا صنعت روســـيا، واليابـــان، والصـــين، حيث ترجمت الفكـــر الغـــربي الـــذي يستمد المصطلح العلمي جـــذوره منـــه، فلسهولة فهم هذا المصطلح يجـــب فـــهم الجو الفكري له ومعرفة المنهج العلمـــي الذي وضع هذا المصطلح وبهذا يكـــون التعريـــب كـــاملا؛ لأن فـــهم الحيـــاة العلمية التي أدت إلى المصطلح والمنـــهج الذي سار فيـــه ســـوف يكون أكـــثر فهمًا وقربًا للعالِم والمتعلـــم وأصحـــاب الحرف بخاصـــة .

وأخيرا : الإيمان الصادق بأن المعرب يقوم بخدمة علمية حضارية لوجه الله ولتقديم أمته، فقد قال الخوارزمي في القرن الثالث الهجري في مقدمة كتابه (الجبر والمقابلة) ما موجزه: إن التأليف يكون احتسابًا للأجر؛ لأن فيه مشقة في كشف أسرار العلم وغوامضه .. ونذكر أن حكام بغداد لما فرضوا الأجور للأساتذة بكى الناس في المساجد، وقالوا: إن العلم كان لله وأصبح للمال .

وبخاصة أن مهمة المعرب والمترجم ليست سهلة ، وليس كل من يعرف لغتين قادرًا على التعريب. نرجو أن يسدد الله خطانا ويلهمنا خدمة اللغة العربية والإسلامية .

يوسف عز الدين

عضو المجمع المراسل من العراق

(شرب الملح)

قصيدة للأستاذ الدكتور يوسف عز الدين

هذه خفقات نفس شاعر حـــائرة
في اضطرام الحياة المعاصرة، تصور قلـــق
الشاعر وحيرته وخوفه مـــن المســتقبل
الغامض :

ربة الشعـــر هل علمت بصب
بين هجر تشقينه وبقـــربِ ؟
والعشيات رحمت صوت وجـــد
همسات النجوم من كل دربِ
أتـــرى يوقـــــد الحنين رواء ؟
من أتون الجراح ينـــزف قلبي
ليت شعري والرمل رمل بلادي
وميـــاهي بها ، تساغ لشربِ
نزفت من جراحها مـــوج هم
ترتوي من دماء أهلي وصحبي
يشرب الملح كل عضو جريح
أيـــداوى بالملح جرح المحبِّ؟

* * *

كم رضعنا مـــن التفـــرق سمًّا
لدغته أسنـــان أفعـــى وذئبِ
ليت شعري وفي الفؤاد شجون
فوقت سهمه مصيبة شعـــبِ

أتـــرى توقـــد الجـــراح حنينًا
وأتـــون الجـــراح تملأ جنبي

* * *

فمتى نســرج المعـــالي خيـــولا
تمـــلأ المجد من مفاخر عربِ
وتغـــني مفاخـــر الفـــوز مجـــدًا
بالسرايا لتنتشي سوح حربِ

* * *

شهداء النضـــال في كل ســـاح
وارتوى من دماهم كل شعبِ
وتغنت بهـــم ثغـــور المعـــالي
وزهت فيهم السمـــاء بشهبِ
بـــدمانـــا نـــذود كل شنـــار
بشباب ما هـــاب حمأة حربِ
حرقوا ذلـــة الهـــوان بعـــزم
مهدوا في الخلود أصعب دربِ

* * *

في فمي مضغة من النار سكرى
مذ بلينا منهم بأفـــدح خطبِ
أمنـــا ربـــة المفاخـــر فاضت
شرف أصلها ، وأمي ، حسبي

* * *

كيف ترضين أمـة العـرب أني
في تـراب الهـوان أدفن حبي
أبـوار وأنت فيض جـدود ؟
نشرت في الوجود أروع خصبِ
ليت شعري وفي الليالي الحيارى
خير أحلامنـا تصـاب بجدبِ
والغطاريف من أمـان عراض
بجنـود كوقفـة النصر غلبِ
ودمانا تسقي الثري والثريـا
وينامـون في حريـر المحبِّ .
* * *
أمنا هـذه الرمـال ومنهـا
أشرق النور وازدهى كل شعبِ
سطع النور ضاحكاً من سناها
وهواهـا مـا بين جفن وهدبِ
قد تحملت من قروحك سقماً
ثم زيدت طعنات حقد وغصبِ
ورمال الصحراء خجلى الروابي
مـن طعين أحبهـا أي حبِّ
أنا أسقي تلك الروابي جراحي
كيف أضحت جدباء من بعد خصبِ؟
همش الصل زهرة الفجر غدراً .
أومـا ترعوي الذئـاب لحبِّ ؟
* * *

من سيشري همـوم قلب جريح
وشجوناً تفيض من كل صوبِ ؟
ترضع الصخر نجمة الصبح ظمأى
ودجاهـا يصب صدر المصبِّ .
أنا أفديك يـا بـلادي بروحي
وبسمعـي وخاطـري وبلبـي
اسرجي الخيل والسرايا ذنوبـاً
ووفائـي العميق لحـوك حبي .
* * *
يا رمال الصحراء حبك شرعي
قـد تغنت بهـا مزامير عتبي
أضرمي في اللحون حبًّا عظيمًا
ثـم عبي مـن المكـارم عبِّي
إن ربعاً لا يعرف الحب ربـع
ليس والله مـن قبيلي وشعبي
أنا كسرت ريشتي ويـراعي
بعدما ضيعوا حروفي وكتبي .
* * *
شمخت بالإبـاء نفس كريم
قد سقوه من كل ظلم وكربِ
إن أرضي أرض البطـولات أرض
ما ونت رهبـة لجوع وجدبِ .
* * *

وأنوف كالمجد تشمخ فخراً
تنشر المكرمات فى كل شعبِ
ضاع منا الطريق للمجد حتى
ضل ملاحنا طريق المصبِّ .

* * *

وارتوى البحر من مياه السواقي
وهو نبع لكل خير وخصبِ
يا رمال الصحراء فالجو خال
نامت الأسد واكتوى كل شعبِ
امرحي يا ضباب من غير خوف
واستزيدي من كل جحر ونقبِ
فالوجوه الحيرى تغط بنوم
أبدي كنوم أحجار درب .

* * *

أتراني حملت هم بلادي
والحنايا مقروحة بين جنبي
وبوجهي من كالحات الليالي
يبسم الهم من شجون بقلبي
نهشت مهجتي فأن جريحاً
قلب صب من ظلم نهش وسلبِ
يا مطايا الصحراء يا حفنة الرمل
يا حجارة الصخر هبي .
ليس للعلم فى الديار مكان
ومكان العبيد في كل صوبِ

يوسف عز الدين
عضو المجمع
المراسل من العراق

إسهام في وضع مصطلحات علم القراءات

للأستاذ محمد المختار ولد إبّاه

علم القراءات والتجويد من أكثر العلوم الشرعية صعوبة وتعقيدًا حتى أصبحت دراسته حكرًا على ذوي الاختصاص،فلم تنزل مادته إلى مستوى العامة، و لم تنتشر بين الخاصة بصفتها ثقافة إسلامية ؛ ومن أسباب هذه الصعوبة ارتباطها عادة بحفظ القرآن الكريم ، وهذا الحفظ يحتاج إلى جهد خاص متواصل ليس في مقدور كثير من الناس ، ولاسيما في عهدنا المعاصر الذي لم يعد الاعتماد فيه على الذاكرة منهجًا في التربية والتعليم واستعنى الناس عن الحفظ بسبب سهولة العودة إلى المراجع المتاحة.

ثم إن لهذا العلم مصطلحات خاصة ، بعضها يندرج في علم الأصوات مثل صفات الحروف ، وبيان مخارجها ، وبعضها من صميم القراءات، مثل الرواية، والطريق ، والمتواتر، والشاذ، والأصول، وفرش الحروف ، ومسائل الوقف الابتداء وهي مصطلحات لازالت متناثرة في مؤلفات مختلفة ، متنوعة الموضوعات .

وإسهاما في الجهود المتكررة التي تقوم بها لجنة الشريعة في مجمعنا الموقر ، فإني أعرض مجموعة من مصطلحات علم التجويد ، آملا أن تعين القائمين على هذا العمل بقسط - ولو قل- في هذا المضمار، وذلك بعد فحصها ومراجعتها بن اقتضى الحال من طرف السادة العلماء المشاركين في هذه اللجنة. وإذا ما أقرها المجمع ، فإني أرجو إدراجها ضمن معجم مصطلحات العلوم الشرعية، بعد أن سبق له أن أقر مصطلحات الحديث النبوي ؛ ونظر في مصطلحات أصول الفقه التي عرضت عليه في السنة السالفة .

الألف

١- الإمام :
أحد المصاحف العثمانية، أو المصحف الذي بقي عند الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

٢-الاستعلاء:
وصف لسبعة حروف يجمعها قولك: "قظ خص ضغط "،وسميت بذلك لاستعلاء اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بها .

٣-الانفتاح:وهو صفة لغير الحروف المطبقة .

٤-الإطباق: و يقابل الانفتاح، و هو من صفات القوة، و حروفه الصاد، و الطاء، و الظاء .

٥-الانسفال: و هو يقابل الاستعلاء ، و أسفل حروفه الياء .

٦- الأصول: أحكام قواعد عامة، مثل مذاهب القراء في المد و القصر ، و الإمالة و الفتح، و الإدغام و الإظهار.

٧- الإمالة: النطق بالمد المفتوح جانحًا نحو الياء ، و بالفتحة نحو الكسرة.

٨- الإشباع: إطالة حركة المد التي قد تصل إلى مقدار ست ألفات في بعض الروايات عن حمزة وورش .

٩- الإضجاع : الإمالة الكبرى.

١٠- الابتداء : استئناف القراءة أولاً، أو بعد الوقف .

١١- الانحراف : من صفة للام.

١٢-الإظهار : يقابل الإدغام ، و هو قطع الحرف الساكن ما بعده كإظهار النون في قوله تعالى : من حولكم .

١٣-الإخفاء : واسطة بين الإدغام و الإظهار نحو التلفظ بالنون السلكنة قبل الباء .

١٤-الإدغام: إدخال صوت الحرف في الذي يليه، و يأتي في المتماثلين إذا سكن أولهما نحو رد و في الحرفين إذا تقارب مخرجاهما،مثل:و قالت طائفة. و إذ ظلموا،و هذا هو الإدغام الصغير، أما الكبير فهو إدغام المتماثلين، و المتقاربين،و لو لم يكن أولهما ساكن مثل:فيه هدى، و خلقكم .

١٥- الإثبات : ضد الحذف .

١٦- الاستطالة : وصف للضاد لأنه جمع بين الجهر، و الاستعلاء، و الإطباق، واستطال عند النطق به حتى اتصل بمخرج اللام.

١٧- الأداء : اختيار الرواية في التلاوة، ويسمى أيضا بالأخذ .

١٨- الإشمام : الإشارة بالشفاه إلى الحركة بعد السكون .

١٩- الاختلاس : انتقاص الحركة، والميل بها إلى السكون.
مثل قراءة أبي عمرو بن العلاء في " بارئكم ".

الباء

٢٠-البدل: يضاف إلى المد الذي يأتي بعد الهمز نحو ءامن ، و هو متوسط عند بعض القراء.

٢١- بين - بين: صفة للتسهيل المتوسط بين التحقيق و حركات الهمزة .

التاء

٢٢- التدوير : عبارة عن التوسط فى الأداء بين التحقيق و الحدر ، و هو المختار عند أكثر أهل الأداء .

٢٣- التحقيق : تحقيق الهمز عند النطق به من مخرجه ، و تحقيق القراءة الاجتهاد في الترتيل ، مع إشباع الإمداد و إتمام الحركات، و تفكيك الحروف ، و اعتبار مواضع التشديد و الوقف .

٢٤-التجويد : مراعاة قواعد الأداء ، و النطق بالحروف وفقا لمخارجها ولصفاتها المعروفة ، وهو واجب عند القراء ، و **يقول** : ابن الجزري في مقدمته:

والأخذ بالتجويد حتمٌ لازم
من لم يجود القرآن ءاثِم

وهو إعطاء الحروف حقها من صفة لها ومستحقها .

٢٥- التواتر: تواطؤ جمع كثير من القراء على رواية متصلة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

٢٦-التطريب : التلاوة بلحون أهل الغناء .

٢٧- التحزين : التلاوة بما يشبه البكاء.

٢٨- التعسف: التكلف في التـلاوة، أو في التلفظ بالحروف .

٢٩-التفكيك : تقطيع النطق بحـروف الكلمة .

٣٠-الترعيد :ترديد ما يشبه الهمـز في الإمداد، و هو من محظورات الأداء.

٣١-الترقيص : التـلاوة على أوزان الأسجاع القصيرة بلحون المطربين.

٣٢-التخفيف: ضد التشديد مثل قـراءة كُذِبوا بدل من كذّبوا.

٣٣- التـام: صفة للوقف في محـل استكمال المعنى ، مثـل رؤوس الآي نحو الوقف على البسملة.

٣٤-التعالق : ترابط بين حكم وقفين في موضعين ، بحيث إن وقفت علـى أحدهما تعين الوصـل في الموضـع الآخر مثل : "الم ذلك الكتـاب لا ريب فيه هدى للمتقين " . ويشـار إليه عادة بثلاث نقط .

٣٥-التفشي:وصف للشين لأنه انتشر في مخرجه حتى قرب من مخرج الطاء.

٣٦-التسهيل: التخفيف مـن النطـق بالهمزة فينطق بها بين الهمزة واليـاء إن كانت مكسورة، وبين الهمـزة والألف إن كانت مفتوحة ، وبـين الهمزة والواو إن كانت مضمومة.

٣٧-التلاوة : كيفية قراءة القرآن.

٣٨-التهوع : المبالغة في تحقيق بعـض الحروف كالهمزة مثلاً.

الجيـم

٣٩-الجهر: قوة الاعتماد على الحـرف عند خروج صوته مع منع النفـس من الجريان عند النطق به سـاكنا وحروفه ١٩ وهي التي لم تذكـر في الهمس .

الحـاء

٤٠- الحسن : نحو الوقف على بسم الله

٤١-الحلق: وتنسب إليه حروف معروفة وهى الهمزة، والهاء، والعين، والغين، والخاء، والحاء .

٤٢-الحدر:الإسراع في التلاوة مع مراعاة بيان الحروف ، وتقويم اللفظ، ومنـه القراءة بالقصر الجائز، والاختـلاس والبدل والإدغام، وهو معـروف في

مذهب ابن كثير وابن جعفر وقالون وورواية الأصبهاني عن ورش .

٤٣- **الحشو**: الكلمة في وسط الآية.

الـــذال

٤٤- **الذلاقة** : نسبة إلى طرف اللســـان وفي حروفه الراء والنون .

الـــراء

٤٥- **الرواية** :ما أخذه مشاهير الـــرواة عن الأئمة ، مثل رواية قالون عـــن نافع، والبَزي عـــن ابـــن كثـــير ، والدوري عـــن أبي عمـــرو وعـــن الكسائي .

٤٦- **الرسم** : شكل كتابة المصحف التي قام بها الصحابة في عـــهد الخليفـــة عثمان رضي الله عنه .

٤٧- **الطريق** : ما اختاره أحد علمـــاء القراءات من روايات القراء مثـــل طريق الأزرق عن ورش .

٤٨- **الرؤوس**: رؤوس الآيـــات هـــي الكلمات التي تنتهي بها الآية ، ولهـــا أحكام خاصة بهـــا في الوقـــف ، والإمالة والفتح .

٤٩- **الرخاوة** : وهي وصف لستة عشر حرفًا ، ليســـت منـــها الشـــديدة المذكورة، ولا المتوسطة التي يجمعـها " لن عمر " وهـــي الـــتي يجـــري الصوت فيها عند سكونها مثل الظاء والضاد .

٥٠-**الروم** : إضعاف النطق بالحركـــة دون ذهابها نهائيًا .

السين

٥١-**السند**:مجموعة رجال الرواية بـــين القارئ والإمام .

٥٢-**السكتة**: إيقاف القراءة قليـــلا دون تنفس .

الشين

٥٣-**الشكل** : وضع علامات الحركات، وأول من قام به أبو الأسود الدؤلي- وجعله نقطا؛ فالفتحة نقطة فـــوق الحرف ، والكسرة نقطـــة تحتـــه ، والضمة نقطة بين يديه .

٥٤- **الشدة**: وصف لحـــروف ثمانيـــة يجمعها قولنا : أجدت كقطـــب . وشدة الحرف قوة الاعتماد في نطقه

ومنع جريان النفس معه إذا كـــان ساكنا مثل " الحُق " والحج ".

٥٥-الشاذ: هو ما يقابل المتواتر أي مـــا عدا الروايات العشر المعروفة.

٥٦- الشفوية: نســـبة إلى الشـــفتين، والحروف الشفويـــة هـــي الـــواو والباء والميم والفاء .

٥٧- الشجرية : والحروف الشـــجرية هي الجيم والشين والياء نســـبة إلى مفرج الفم .

الصـــاد

٥٨- الصلة : قد يقصد به مـــد هـــاء الضمير نحو فيهي هدى ، أو ميـــم الجمع ، عليهمو ؛ أما الوصل فـــهو ما يقابل الوقف.

٥٩- الصفير : (حروف) وهي الصـــاد والسين والزاي.

الضـــاد

٦٠- الضبط: كل العلامـــات الـــتي في المصحف الزائدة على الرَسم ، مثل: الشكل والنقط ، وعلامات الإمداد.

٦١-الغنة :صوت خاص يخـــرج مـــن الخيشوم لا عمل للسان فيه ، يظـهر في مثل إدغام النون في الميم .

الفـــاء

٦٢-فرش الحروف: بسط الأحكـــام في الكلمات التي اختلف فيها القـــراء اختلافا خاصا بكل كلمة . مثـــل : " عند الرحمن " و " عباد الرحمن "

٦٣-الفتح: النطق بالمد المفتـــوح دون إمالة .

القـــاف

- القراءة :ما نسب إلى أحد الأئمـــة : مثل قراءة نافع، وابن كثير، ومن هـــو مثلهم .

٦٤-القلقلة : وصف لخمسة حـــروف ويجمعها قولـــك " قطـــب جـــد" وسميت بذلك لأنها إذا وقف عليـــها قلقل اللسان .

٦٥- القصر: ويقـــابل المـــد المشـــبع والمتوسط. كاختصار بعض القراء في المد المنفصل على المد الطبيعي ، وقد يقابل الوصل في هاء الضمير وميـــم الجمع .

٦٦- **القبيح**: صفة للوقف في محـــل لم يكمل فيه المعنى، وعلى من اضطـــر للوقوف عنده أن يعيد الكلمة الـــتي وقف عليها .

٦٧-**القرآن**: الكتاب المنـــزل على محمد صلى الله عليه وســـلم للإعجـــاز وللتعبد بتلاوته .

الكـــاف

٦٨- **الكافي** : مثل الوقف على نهايـــة كلام مفهوم المعنى ، نحو : ألا إنهـــم هم السفهاء.

الـــلام

٦٩-**اللين** : صفة تطلق علـــى الألـــف لزومًا، وعلى الواو والياء في حالـــة مدهما ، وتسمى أحرف المد .

اللثوية ـ نسبة إلى اللثة ، ويوصـــف بها الظاء والذال والثاء .

الميـــم

٧٠- **الموصول** : في الرسم مـــا غلـــب قطعه ، ثم ورد موصولا نحو " وألـــو استقاموا على الطريقة ".

٧١-**المقطوع**: في الرسم ما غلب وصله، وورد مقطوعا نحـــو " مـــال هـــذا الرسول".

٧٢-**المصحف**: الكتاب المتضمن للقـــرآن الكريم وحده

٧٣- **المخرج** : المكان الذي ينطلق منـــه الصوت في الفم، مثل انطلاق العـــين من الحلق، والقاف من أقصى اللسان، والميم من الشفتين .

٧٤-**المصمت**:صفـــة للحـــروف غـــير الذلقية.

٧٥- المد : منه ما هو طبيعي مثل ألـــف قال،وواو يقول، وياء قيل،ومنه ما هو زائد، وهو ما قد يأتي قبل الســـكون والهمز وبعضه متصل مثل:"جـــاء ، ودواب، ومحياي".ومنه ما هو منفصل مثل و" ما أنفقتم من نفقة " الآية.

النـــون

٧٦-**النقط**: وضع النقط التي تميز بـــين الحروف التي يشبه بعضها بعضـــا ، مثل الباء والتاء ، وأول من قام بـــه في المصاحف يحي بن معمر مقيل نصـــر ابن عاصم الليثي.

٧٧- النقل : تحريك الساكن الذي قبل الهمزة بحركتها ، وحذفها ، نحو :"هلَ أتى على الانسان"، فحركة همزة الإنسان نقلت إلى أل التعريف ، وحذفت الهمزة .

٧٨- النطعية : نسبة إلى نطع الفم وهو الغار الأعلى أي سقفه ، والحروف النطعية هى الطاء والدال والتاء.

الهـــاء

٧٩- الهواء : مخرج حروف المد لأنها لا تسند على جزء معين في الفم .

٨٠-الهذ أو الهذرمة، وهي سرعة التلاوة ولا يجوز منه ما يخل بقواعد التلاوة.

٨١- الهمز: أداء الهمزة بالتحقيق ، أي دون إبدال أو تسهيل .

٨٢- الهمس : ضعف الاعتماد على الحرف عند التلفظ به مع جريان النفس ، وحروفه يجمعها " حثه شخص فسكت "

الـــواو

٨٣- الوقف :قطع القراءة في مكان معين ، ويكون بإسكان المتحرك، نحو : لا ريب - أو بمد المفتوح -.نحو غفورا.

محمد المختار ولد إبّاه

عضو المجمع المراسل

من موريتانيا

معجم المصطلحات البحرية في الكويت

للأستاذ عبد الرازق البصير

كان النشاط الاقتصادي في منطقة الخليج عامة، وفي الكويت خاصة، مقصوراً على استخراج اللؤلؤ من البحر وهو نشاط عسير أشد العسر؛ لأن الذين يقومون بهذا العمل يستخدمون أدوات بدائية؛ فهم لا يعرفون الأدوات الحديثة ، والعاملون في هذه المهنة كثيرًا ما تتعرض حياتهم للخطر، فالذي يغوص في البحر لاستخراج اللؤلؤ ، لا يستخدم الجهاز الحديث الذي يمكّنه من التنفس ، وإنما يستعمل شيئًا يسمى "الفطام" وهي قطعة صغيرة تصنع على صورة المقراض يضعها الغواص على أنفه، وتُصنَع من عظام السلاحف، كما يذكر ابن بطوطة فى رحلته، ج١ ص ١٧٧، وتضغط هذه الأداة على أنفه بصورة مؤلمة، ولو أردت ذكر الأدوات التي يستعملها الغواصون لخرجت عن القصد، ويشترك في مهنة الغوص من الكويتيين ألوف من الناس، وكم ابتلع البحر من أولئك المكافحين !

كما تعرض الكثير منهم إلى أمراض مختلفة في عيونهم وآذانهم وأجسامهم، على أن هناك مهنة أخرى للبحارة الكويتيين ، وهي نقل التمر إلى الهند وشرق إفريقيا، واستيراد الخشب لسقوف المنازل وصناعة السفن، وهذا العمل فيه كل المشقة .

وقد أُلِّفَت كتبٌ في الغوص ، تحدث فيها مؤلفوها أحاديث مفصلة، وصفوا فيها حياة أولئك البحارة المكافحين .

وقد رأى مؤلف هذا المعجم (معجم المصطلحات البحرية فى الكويت) المرحوم أحمد البشر الرومي أن يذكر أسماء معظم السفن وأجزاءها باذلاً جهدًا مضنيًا؛ فإن أسماء تلك

السفن ليست كلها عربية يسهل تفسيرها ، وإنما هي مأخوذة من الفارسية والإنجليزية والهندية، لهذا نجد المؤلف يذكر ما يستطيع أن يذكره من مصادر وأصول ألفاظها ، وسنذكر في هذا البحث ما يتسع له المجال من أسماء السفن ومنها :

١- أبغلة

نوع من السفن الكويتية الشراعية ، تستخدم للأسفار البعيدة وحمل البضائع من الكويت والعراق إلى الهند وشرق إفريقيا ، والبغلة تشبه السفن البرتغالية القديمة ، وهي من أقدم أنوع السفن التي استخدمها الكويتيون للسفر في البحار العالمية .

وطول الواحدة ما بين ١٢٠ و١٥٠ قدمًا ، وعرضها ما بين ١٨ و ٣٠ قدمًا، وارتفاعها ما بين ٣٠ و٤٠ قدمًا، وحمولتها لا تزيد عن ٤٠٠ طن ، والمفروض أن هذا الاسم أطلق على هذه السفينة؛ لقوتها وقدرتها على تحمل الأسفار البعيدة ، فالبغل حيوان معروف من فصيلة الحصان ، لهذا فالبغل يملك صلابة الفرس وصبر الحمار ، ومن المعروف أن البغل مركب من هاتين الفصيلتين، وهذا مجرد ظن ؛ لأن المؤلف لم يذكر سبب التسمية .

٢- البتيل

سفينة متوسطة الحجم ، ذات شراعين ، وحمولة البتيل في السفر تتراوح ما بين ١٥ و١٦ طنًا ، وتُستعمَل هذه السفينة في رحلات الغوص على اللؤلؤ ، وتتسع لحوالي ثمانين شخصًا،وتمتاز بشكلها الغريب، الذي يشبه سفن الفينيقيين والفراعنة ، وتتكون قاعدة البتيل التي يبني عليها هيكله من وصلتين- على خلاف السفن- أفقيا ، أما الثلث الأخير من ناحية المؤخرة ، فيتراوح ارتفاعه ما بين ١٢ إلى ١٦ درجة تبعًا لما يطلبه مالك السفينة عند صناعتها .

وقد ورد لفظ البتيل في الشعر العربي بمعنى الهضيم الدقيق ، قال يزيد ابن الطثرية :

عقيلية أما - مِلاث إزارهـــا
فِدعْص وأما خصرها فَبَتِيـــلُ
وقد رجعت إلى لســـان العـــرب
لابن منظـــور ، فلـــم أجـــد تفســـيرًا ، يتلاءم مع اسم سفينة البتيـــل ، ويقـــال مثل ذلك عن "المعجم المساعد" لـــلأب أنستاس مـــاري الكرملـــي، ومعجـــم " دوزي " وهذه لفظة مشـــهورة لـــدى ملاحي دجلة ، وربما تكون هنديـــة .

٣- بقـــارة

نوع مـــن الســـفن تشـــبه البتيـــل انقرضت، وكـــانت آخـــر بقـــارة في الكويـــت ســـنة ١٩١٤م (وتنطـــق بالجيم القاهريـــة).

٤- البـــوم

نوع من السفن الشـــراعية ، حـــاد المقدمة والمؤخـــرة ويســـتخدم الصغـــير منـــها في الغـــوص، ويســـتخدم منـــها للقظاعة ، أما الكبير منـــها فيســـتخدم في رحلات التجارة لقطـــع المحيـــط إلى الهند وزنجبار ، والبوم شائع في الخليـــج العربي منذ أمد بعيـــد ، ويغلـــب علـــى ظني أن المنية عاجلت المؤلـــف قبـــل أن يبلغ مناه في التحقيـــق، وقـــد سمعـــت منه- رحمه الله - أنـــه اقتـــنى قاموسًـــا بالتركية والفارسية؛ لينمكن من تحقيـــق أصل المفردات، مـــن أيـــن مصدرهـــا؟ وعلى كل حال فـــإن الشـــيخ جـــلالاً الحنفـــي يقـــول في معجـــم الألفـــاظ الكويتية : إن لفظة البوم من اللـــهجات الآريـــة، والبســـتكية، والكراشـــية، والأوزيـــة، وهـــي لهجـــات فارســـية يتحدث بها سكان الســـاحل الإيـــراني الجنوبي نقلاً عن معجم أحمـــد اقتـــداري بالفارسية ..

٥- دنجيـــة

(تلفظ بالجيم المصريـــة) ، وهـــي نوع من السفن الشراعية الهنديـــة، أقـــل انتشارا من الكويتيـــة، وتشـــبه البـــوم الكويـــتي، ولكنـــها تختلـــف عنـــه في مقدمتها التي تشبه مقدمة الشـــوعي .

٦- سنبوك

سفينة مـــن الســـفن الشـــائعة في الخليـــج، مقدمتـــها زاويـــة حـــادة،

ومؤخرتها شبه مربعة. يستخدم النوع المتوسط منها بحثًا عن الخليج للغوص بحثًا عن اللؤلؤ ، وفي اليمن يُصنع نوع كبير منه يجتاز به اليمنيون المحيطات إلى الهند وزنجبار ، ويمتاز السنبوك الكويتي بالنقوش الجميلة التي تزين مؤخرته .

وقد جاءت لفظة السنبوك في رحلة ابن بطوطة بلفظ (صنبوق) .

٧- شوعي

سفينة لا يختلف نوعها عن نوع السنبوك وشكله، إلا في شكل اللوح الذي بأعلى المقدمة ، وتختلف أحجام الشواعي، فمنها ما هو بحجم القارب الصغير ، ويستخدم لصيد السمك قرب السواحل ، ومنها ما يقارب حجمُه حجم السنبوك ، وكثيرًا ما يحوَّل الشوعي إلى سنبوك، إذا كان كبيرا، ويستعمل الشوعي في الكويت فقط دون سائر بلدان الخليج.

٨- صياد

والجمع صيايد ، ويطلق لفظ "صياد".على السفينة من سفن صيد السمك التي تستخدم الشباك .

٩- ماشوه

قارب صغير يستخدم للتردد بين السفينة والساحل؛ لنقل البحارة وبعض الأمتعة الخفيفة ، ومؤخرة الماشوه مربعة وأصل الكلمة آرامية من "ماكونا" مجلة لغة العرب ج١١، أيار (مايو) ١٩١٤م.

ثم يبدأ المؤلف بذكر بعض أجزاء السفينة.

١٠- أرقبة السكان

رقبة الدفة ، وهو الموضع الذي تشد فيه حبال التوجيه الكبيرة، وعصا السكان بالنسبة للسفن الصغيرة ، وتسمى هذه الخشبة التي تدخل في رأس السكان كانه.

١١- برد

جانب السفينة الخارجي في منتصف السفينة إلى مؤخرتها .

١٢- بندار

مخزن في مؤخرة السفينة، وغالبًا ما يكون في السفن الصغيرة والمتوسطة ، والتي غالبًا ما تمارس

عملها داخل الخليج العربـــي ، والقيِّـم على هذا المخزن يسمى "بنـــداري".

١٣- تركيـت

التركيت أصغر الأشرعة، ويســـتعمل في حالة الرياح الشديدة فقـــط .

١٤- خدعـــة

والجمع خـــداع ، والخدعـــة ، فى موضعينْ على يمـــين ويســـار الســـفينة بالقرب من منتصـــف الســـفينة تجـــاه مؤخرها ، وهي عبـــارة عـــن غـــرف صغيرة من الخشب في عنـــبر الســـفينة ، وكان أصحاب سفن الغـــوص يقيمـــون هذه الغرف الصغيرة لخـــزن مـــا يزيـــد عندهم من المحار ، أما الســـفن الكبـــيرة التي تستخدم في السفر فلم يكـــن يُبْنَـــى فيها مثل هذه الغرف ، واللفظ يحتمـــل أن يكون مشتقًا مـــن الخـــدع ، وهـــو إخفاء الشـــيء، وبـــه سمـــي المخـــدع والخادعة، وهو البيـــت الصغـــير الـــذي يكون داخـــل البيـــت الكبـــير ، قـــال الراغب : كأن بانيه جعله خادعًـــا لمـــن رام تناول ما فيـــه .

١٥- مـــاكري

والجمع مواكر، والمـــاكري خشـــبة لا يزيد طولها عن ١٢ سم محدبـــة، وفي وسطها ثقب، تثبت على المواضع الـــتي أعدت لربط الحبال، فيقـــوم المـــاكري بمسك الحبال عن الانـــزلاق ، ويكـــون بمثابة كُلاَّب من الخشـــب ، والكلمـــة قد تكـــون مـــن الأورديـــة، مـــاكري ومانكري، وفي تونس تسمى قربـــول .

١٦- خـــن

عنبر السفينة، ويطلق لفـــظ الخـــن أيضًا علـــى كـــل مـــا غطـــاه ســـطح السفينة، والخن كلمـــة فارســـية بمعـــنى بيت الطابق الســـفلي مـــن الســـفينة " المعجـــم الذهـــبي " معـــرب " المعجـــم الوسـيط ".

١٧- مجـــداف

والجمع مجاديف، وتتنوع أشـــكال المجداف ، ففي ســـفن الغـــوص يكـــون رأس المجداف الذي يباشر المـــاء قطعـــة من الخشـــب مربعـــة الشـــكل تلصـــق بالمجداف وتربط بالحبـــال، ويوجـــد في

سفن الغـــوص الكبـيرة ثمانيـة عشـــر مجدافًا ، ويقـــل العـــدد تبعًـــا لحجـــم السفينة ، وتســـتخدم هـــذه المجـــاديف لتحريك السفينة من مكـــان إلى مكـــان في المغاص بحثًـــا عـــن محـــار اللولـــو ، والمجداف يتكون من:"زبان" و"صـــوار" و" غربية "و"صف"وظرب"و"طـــلا " ، وقد ورد في نشـــوار المحـــاضرة ج٣ص ١٢٨ لمؤلفه القاضي الحسن بـــن علـــي التنوخي " علقت مجـــدافي في الكـــرك"، وتدل العبارة من الســـياق علـــى أنـــه توقف عن التحديـــف ووضـــع مجدافـــه علـــى الكـــرك، وفي تونـــس يســـمى "المجداف": مقداف، والصف":فـــراص، أما الطلا فيسمى "مزاب" ، والزبـــان : " شـطرمب".

مصطلحات العمل البحـــري

١- اجمـع

كلمة يوجهها النواخـــذة لرئيـــس السمة ليجمع ما عنـــد البحـــارة مـــن اللؤلؤ بعد الفلق، ثم يقدم مـــا اجتمـــع لديه من البحارة للنواخـــذة .

٢- أخـــذ

مصطلح يقال عند ســـبر أعمـــاق البحر لمعرفة عمق المـــاء ، فيقـــول مـــن يقيس الأعمـــاق: (أخـــذ) أي وصـــل المسبار القاع وعرف العمـــق ، ثم يخـــبر بعد ذلك بمقدار العمق بعـــد أن يتـــأكد من العلامات المثبتة بالحبل ، أمـــا إذا لم يصل المسبار القاع ، فإنه يقـــول: (مـــا يأخذ)، ويحدث ذلك إما لعمـــق المـــاء أو لشدة سرعة سير السفينة ، ويكـــون في مسيرة السفينة فقط ، أمـــا في حالـــة الوقوف فلا يستخدم ذلـــك .

٣- ادحجـت

وتنطق باللهجة الكويتية ادحيـــت، ويقال ادحيت الضربـــة أي أن الريـــاح الشديدة فاجـــأت الســـفينة ، وكـــانت ضربة الرياح شديدة ، واللفـــظ مشـــتق من اللفظ الفصيـــح دحـــج ، فيقـــال: الريح دحجت الشيء، أي جرتـــه مـــن موضع إلى موضـــع .

٤- بريخـــة

عملية جر حبل المرســـاة لرفعـــها ، وتستخدم البريخـــة: بصفـــة خاصـــة في

سفن الغـــوص ، نظـــرًا لطـــول حبـــل المرساة والبرخ في اللغـــة بمعـــنى القـــهر، والتبريخ : الخضوع (اللسان : بـــــرخ)، ويحتمل أن يكون لفظ البريخـــة مشـــتقًا من الـــبرخ نظـــرًا لأن ســـحب حبـــل المرساة يرغم السفينة على التقـــدم نحـــو عين الريح أو التيـــار .

٥- تنـــور

التنور هـــو البحـــث عـــن المحـــار بواسطة منظار الماء ، وهو عبـــارة عـــن صندوق مســـتطيل الشـــكل ، قاعدتـــه من الزجاج يرى من خلاله قاع البحـــر واضحًا ، والغاية مـــن اســـتعمال هـــذا الصندوق منـــع تموجـــات المـــاء الـــتي تحجب الرؤية ، وقديمًا كان الغواصـــون يتنورون المحار بدون هذا المنظـــار بـــأن يلقوا على سطح الماء قليلاً مـــن دهـــن السمك ، فيقضي الدهـــن علـــى عقـــد الماء التي تمنع الرؤيـــة ، فينظـــرون مـــن حافة السفينة إلى ســـطح المـــاء فيظـــهر القاع واضحًا، وكـــانوا يتبعـــون هـــذا الدهن الطافي على ســـطح المـــاء مـــع حركة التيار، وفي اللغـــة: التنـــور هـــو الرؤية من بعيد، فيقال تنـــوروا النـــار، أي تبصروها من بعيـــد.

وكثيرًا مـــا يتعـــرض البحـــارة إلى أمراض بسبب كثرة اســـتعمالهم للمـــاء المالح ، وكان علاجهم علاجًـــا بدائيًـــا كاستعمال " الجفت " وهـــو مســـحوق كستنائي، يستخرج مـــن ثمـــر شـــجرة البلوط ويستخدم علاجًـــا للالتـــهابات وقد وصف هذا الدواء ابـــن البيطـــار في الجامع لمفردات الأدويـــة .

وكذلك يتعـــرض الغاصـــة لمـــرض يسمى " الطنان " وهو ألم بـــين العينـــين عند نهاية أعلى الأنف يحـــدث في أثنـــاء الغطس عنـــد بعـــض الغاصـــة وعلـــى الأخص في المياه التي يزيد عمقـــها عـــن سبع قامـــات.

أما الحالة الغذائيـــة فإنهـــا تقتصـــر على التمر، والسمك، والأرز،والخـــبز. ولا تسل عن طريقـــة إعـــداده ، فإنهـــا تعد إعدادًا ، يكون في حالـــة لا يأكلـــه إلا المضطـــر ، وهـــذه إضافـــة مـــن الكاتب، أضافها بعد معرفة مؤكـــدة .

ويلاحظ أن المؤلف قد زار مصانع السفن الشراعية القديمة في تونس ومصر، فاقتبس من مصطلحات هاتين الدولتين للسفن ، وقارنها بمصطلحات السفن في الخليج.

ولكي يكون لدينا تصور لعدد السفن البحرية في الكويت، فإنني أو ضّح أنها بلغت - عام ١٩٢٠م - نحو ١٢٠٠ سفينة ، نقلاً عن إحصائية الموظف المسؤول عن السفن في جمرك الكويت آنذاك .

وإذا علمنا أن سكان الكويت في ذلك الحين يبلغون حوالي مئة ألف نسمة أو أقل ، تبين لنا أن مهنة الغوص والسفر تستأثر بأغلب سكان الكويت ، لهذا نجد بعض المهتمين بالتاريخ الاجتماعي للكويت ، قد عنوا به عناية لا بأس بها ، فألّفوا عدداً من الكتب، تحدَّثوا فيها بالتفصيل عن كل ما له صلة بهذه المهنة، فقد تحدَّثوا عمَّا تُدره هذه المهنة من مكاسب ومالها من نظم وقوانين، تطرقوا إلى ما يتصل بالسفن من أسماء وغيرها ، مما يعني أن الإلمام بهذا البحث بصورة دقيقة يقتضي أن يكون البحث مطولاً، قد لا يحتمله هذا المجال .

عبد الرازق البصير
عضو المجمع المراسل
من الكويت

ملاحظات حول التعريب في الجزائر

للأستاذ الدكتور أبي القاسم سعد الله

في أزمنة بعيدة أطلق المؤرخون والكتاب كلمة " التعريب " على تعميم اللغة العربية في الدواوين الإدارية التي كانت فارسية أو بيزنطية ، فقد روى أن الخليفة عبد الملك بن مروان أمر بتعريب ديوان الشام فأكمله خلال سنة واحدة . وقال كاتبه سرجون الرومي إلى كتاب الروم قولته المعروفة : " اطلبوا العيش في غير هذه الصنعة،فقد قطعها الله عنكم"[1]. وتحدثوا أيضا عن تعريب الشعوب التي استقبلت الإسلام ، فقالوا مثلاً إن بني هلال وبني سليم كان لهم الفضل في تعريب سكان بلاد المغرب . وقد ألح الفرنسيون في دراساتهم على هذه النقطة بالنسبة للبربر : فقد استوقفتهم سرعة التعريب من جهة وبطء الفرنسية من جهة أخرى . فبحثوا عن الأسباب فوجدوها في قوة الحملة العربية وعنف التغريبة الهلالية. وتغاضوا عن قوة العقيدة الإسلامية وعن استعداد المسلمين الجدد لتبني لغة القرآن .

ولذلك نتساءل : هل المقصود اليوم هو تعريب اللسان؟ أو تعريب الإنسان؟ أو هو تعريب الإدارة ؟ أو هو تعريب الفكر ؟ ويمكننا أن نستمر في هذا التساؤل : فنتحدث عن تعريب نظام التعليم ، وتعريب المحيط الاجتماعي والاقتصادي والإعلامي : بل وتعريب الحاسوب . وأي من هذه أولى من الآخر، إذا أردنا تحقيق التعريب بسرعة وعلى نطاق واسع ، دون الخلل بالنظام الاجتماعي أو التخلي عن اللغة العربية ؟

ويبدو أن هناك أولويات في تطبيق التعريب ، وليس هناك اتفاق بين علماء الاجتماع ودعاة القومية حول هذه الأولويات . فمنهم من يرى أن تعريب

(١) محمد بن الأزرق [بدائع السلك في طبائع الملك] تحقيق على سامي النشار جـ ١ ، العراق ، ١٩٧٧م، ص ٢٨١، أما ديوان العراق الذي كان بالفارسية فقد عربه الحجاج بن يوسف ، وكان مصير كتابه من الفرس هو مصير كتاب الروم ، ولو أن الجزائر اتخذت موقفًا حاسمًا لتعريب الإدارة فيها خلال فترة قصيرة .

اللسان يتقدم على كل أنواع التعريب . وأن ضمان لغة الخطاب الواحد والتفكير الواحد هو أساس الوحدة السياسية وحجر الزاوية في بناء الأمة . ولذلك أعطوا أهمية كبيرة للمدرسة؛ لأنها في نظرهم هي التي تخرج الأجيال التي تستعمل اللغة الواحدة ، كما اهتموا إلى حد كبير بالمحيط الإعلامي ومنهم من تزاوجوا بين لغتين أو أكثر في النشرات الخبرية وفي الجرائد وفي الندوات والمناقشات . ولكن هذا الاختيار الأول الذي هو المدرسة ، ذلك أن المحيط الإعلامي والإداري قد تغلب ، بل وهدد، نظام التعليم ، وجعله مفصولاً عن الواقع.

وقد قلنا إن تعريب المحيط وحده غير كافٍ ؛ لأن الإدارة إذا بقيت غير معربة فإنها تهدد عملية التعريب من وجهين على الأقل: الأول أن الإدارة غير المعربة تهدد مفعول النظام المدرسي بالانفصام بين ما يتعلمه التلاميذ وما يمارسونه عمليًا في حياتهم اليومية، والثاني أنها تعرقل دخول المعربين فيها؛ لأنها ترى فيهم نشازًا أو غرباء يجب إبعادهم لضمان المصالح الآنية للنظام القائم.ولذلك يكون اختيار التعريب عن طريق المدرسة وحدها اختياراً غير آمن العواقب.

وقد بلغت بعض البلدان العربية مرحلة التشبع من التعريب المدرسي والإداري والإعلامي . وبدأت تهتم بتعريب الحاسوب ، هذا الجهاز الخطير الذي دخل البيوت والمدارس والشوكات والمواصلات ، والاتصالات بكل أنواعها، والواقع أن هناك جدلية في هذا المضمار بالنسبة للمجتمع العربي الذي لم يتشبع بالتعريب. فهل نشر الحاسوب سيساعد أو يعرقل عملية التعريب الأساسية (المدرسة ، الإعلام ، ....)؟ إن هناك على الأقل رأيين في هذا المجال أحدهما يذهب إلى أن الحاسوب سيعرقل مسيرة التعريب؛ لأنه سينتشر باللغة الأجنبية وليس بالعربية، ومن ثم فإنه سيزيد من هوة الازدواجية غير المتوازنة (لأن الازدواجية هنا تعني غلبة اللغة الأجنبية على العربية في المجال التقني) . وهناك من يرى أن

الحاسوب، إذا استعمل بالعربية ، سيساعد على نشر اللغة العربيـــة بـــين النـــاس ، ولاسيما الشـــباب المدرســـي والجـــهاز الإداري الشاب ، ومن ثم يقع التعريـــب بين عناصر المجتمـــع الـــتي يعتقـــد أنهـــا متباعدة لغويًا .

ومنذ عقود قليلة كانت الجزائـــر إذا ذكرت ذكر معها التعريب . فقد اســتقر في أذهان العرب والمسلمين أن الاســتعمار الفرنسي قد فرنسها وجعل أهلها ينســون لغتهم العربية ويتكلمون ويكتبون بلغـــة فرنسا . وكنت من الذين ساهموا في تقديم صورة الجزائر الحقيقية لمثقفـــي المشـــرق العـــربي أيـــام دراســـتي بالقـــاهرة في الخمسينيات. وقد أقمت مساهمتي علـــى تصحيـــح الخطـــأ الشـــائع ، وهـــو أن الجزائريين قد انقطعوا عن اللغة العربيـــة ، وأصبحوا يتكلمون ويكتبون بالفرنســية . ومن يرجع إلى كتـــابي (دراســـات في الأدب الجزائري الحديث) وكتابي الآخـــر (شاعر الجزائر محمد العيد) سيطلع على مساهمتي في تصحيح الخطأ .

ومن جهة قام الشيخ محمد البشـــير الإبراهيمي بمساهمة كبـــيرة في تصحيـــح المفاهيم الخاطئة حول التعريب والفرنســية في الجزائر ، حين كان في القاهرة خـــلال الخمسينيات ، فسواء على منـــبر جمعيـــة الشبان المسلمين، أو مجمع اللغة العربية، أو صوت العرب، أو غيرهـــا مـــن المنـــابر كالصحافة والمؤتمـــرات ؛ فـــإن الشـــيخ ببلاغته المعـــــهودة ومعرفتـــه الواســـعة بالموضوع ، وتأثيره القـــوي قـــد جـــلا الضباب عـــن القضيـــة [1] . ذلـــك أن السلطات الفرنسية في الجزائر قد حـــاربت اللغة العربية بكل الوسائل المتاحة ومنـــها الفرنسية. إلى أن نجحت في تكوين جيـــل أصبح معروفًا باسم النخبة .وأصبح مـــن دعاة الانسلاخ عـــن الجســـم العـــربي الإسلامي والاندماج في الأمة الفرنســية . ونجحت أيضًا في إغـــلاق العديـــد مـــن المدارس والزوايا بحجة أنها كانت تعلـــم العربية التي تعتبرها الإدارة الفرنسية لغـــة

(١) مما نشره الشيخ الإبراهيمي مقالة بعنوان :" تعريب المدرسة أساس كل تعريب " في مجلة (اللسان العربي) عدد ٤، ١٩٦٦م (نشرت بعد وفاته).

أجنبية في عقر دارها . وقد خرج من هذه النخبة من كان لا يكتب إلا بالفرنسية، ولاسيما منذ حوالي ١٩٥٠م. وفي أذهاننا أسماء الأدباء : محمد ديب ، وكاتب ياسين ، ومالك حداد ، ومولود معمري، ومولود فرعون . وكان وجود أمثال الشيخ الفضيل الورثلاني، والشيخ الإبراهيمي، والشيخ أحمد توفيق المدني في المشرق العربي ، وجميعهم كانوا خطباء ورجال فكر ودين ولغة ، قد أنار العقول وصحح الصورة الخاطئة عن الجزائر في المحافل المشرقية .

حقيقة إن المعركة كانت ساخنة مع الإدارة الفرنسية الاستعمارية من أجل إثبات الهوية الوطنية الجزائرية . ولا يمكننا تتبع كل أطوار ومعطيات وتطورات هذه المعركة، التي هي في الحقيقة معركة حضارية ، لأن المسألة ليست فقط منحصرة في اللغة . فقد دعا وزير الداخلية الفرنسي وغيره في الثلاثينيات من هذا القرن إلى ترجمة القرآن إلى الفرنسية، وفرض هذه الترجمة على الشعب الجزائري، ومنع المسلمين من تعليم اللغة العربية أو تعلُّمها ، وحذف كل ما يتصل بالنخوة والقومية من القرآن . وهناك من طالب بغلق الحدود مع تونس لمنع تعلم الجزائريين في جامع الزيتونة . أما الجنرال كاترو، فقد قال إن عشرين مدرسة فرنسية ستؤدي إلى اختفاء اللغة العربية تمامًا من الجزائر خلال عشرين سنة .

إن عزل اللغة العربية كرمز للحضارة العربية والإسلامية ، بدأ منذ الاحتلال ، وتطورت الوسائل والإجراءات ضد اللغة مع رسوخ الاحتلال نفسه. فقد استولى الفرنسيون على الأوقاف منذ البداية، وكانت هي المورد الأساسي للتعليم. وهدموا المساجد والمدارس التابعة لها، وتوقف التعليم بالعربية، وكادت الجزائر لا تجد من يتولى فيها القضاء ومن يقرأ كتابًا من التراث العربي الإسلامي ، حتى الزوايا الصوفية التي كانت معقلاً آخر للغة العربية طالتها يد الإدارة، ووقفت فيها عملية التعريب أو نشر اللغة العربية بين الناس .

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو كيف بقيت العربية مع ذلك على قيد الحياة في الجزائر ؟ ألا يؤكد ما ذكرناه ادعاء من قال في الخمسينيات من هذا القرن إن العربية قد اختفت في الجزائر؟ وهل هناك منافذ أخرى استمرت منها عملية التعريب، رغم كل الإجراءات المانعة؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة يقتضي منّا عودة إلى الماضي البعيد وتتبع مواقف الإدارة الفرنسية من اللغة العربية. ولكننا لن نرجع إلى كل المواقف ولا تفاصيل المسألة وحسبنا من ذلك كله ما يلي :

١- بعد إهمال التعليم بالعربية أحدث الفرنسيون ثلاث مدارس لاستقبال عدد محدود من الطلبة (معدل ٢٠ طالبًا لكل مدرسة) لتوظيفهم في القضاء الإسلامي بعد التخرج ، وتعيين أئمة المساجد الباقية منهم ، أو ما يسمى السلك الديني والقضائي . هذه المدارس كانت تضم حوالي اثني عشر معلمًا (معدل أربعة لكل منها) . وكانوا يدّرسون مواد شرعية ومواد عربية (الفقه والتوحيد ، وقواعد النحو والإنشاء) . وقد استمرت المدارس على هذا النحو من ١٨٥٠ إلى حوالي ١٨٨٠م . ومنذ هذا التاريخ تولى إدارتها المستشرقون الفرنسيون، وأضافوا إلى مواردها اللغة الفرنسية والحساب وتاريخ فرنسا وجغرافيتها،فأصبحت مزدوجة مع غلبة الفرنسية عليها لغة وثقافة. ورغم ذلك فقد وجدنا نماذج تخرجوا من هذه المدارس وساهموا في خدمة اللغة العربية والدفاع عنها،مثل محمد بن العابد الجلالي.

٢-منذ حوالي١٨٦٠م تغاضت السلطات الفرنسية عن بعض الزوايا الصوفية، لأسباب سياسية، وتركتها تعلم اللغة العربية بنحوها وصرفها وعروضها لبعض طلبة الأرياف ، وكانت السلطات تراقب تعليم الزوايا حتى لا يخرج إلى موضوعات لا ترغب فيها مثل أبواب الفقه الممنوعة (الجهاد، والجزيه ، والضرائب). ومن هذه الزوايا نذكر العامل قرب بوسعادة، وزاوية طولقة قرب بسكرة ، وزاوية ابن

أبي داود في زواوة . ومن أهداف هـــذا التسامح فصل الجـــانب التعليمـــي عـــن السياسي ، وتفتيـــت وحـــدة الطريقـــة الصوفية التي حاربت الاستعمار بـــــدون هوادة، كما أن من أهداف هذا التســامح تثبيط هجرة الطلبة إلى المعاهد الإســلامية المجاورة أو البعيدة ، مثل الزيتونة بتونـــس والقرويين بفاس، والأزهر بالقاهرة.

ونتيجة لذلك أخرجت بعض الزوايـــا مجموعة من المثقفين بالعربيـــة ســـاعدتهم الروح العصامية والتحدي على الوصـــول إلى درجة طيبة مـــن الثقافـــة العربيـــة ، ومنهم: أبو القاسم الحفنـــاوي صـــاحب كتاب [تعريف الخلف برجال السـلف]، ومحمد العاصمي الأديب الذي أفســـدته ولاية الفتوى للفرنسيين ، والشيخ عاشور الخنقي الشاعر البليغ الذي درس أيضًـــيا بتونس ، وهو صاحب كتـــاب (منـــار الأشراف) وهو ديوان شعر ونثر في مدح آل البيت . وكان بعـــض رواد الحركـــة الإصلاحية من خريجي هذه الزوايا أيضًا ، وعلى رأسهم الشيخ البشير الإبراهيمـــي الذي درس في زاوية اقبـــو قبل هجرتـــه إلى المشرق . وقد أصبح الإبراهيمي حجة في اللغة والأدب، إضافـــة إلى رئاســـته لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

٣- تمكن بعض الجزائريين رغـــم كـــل المثبطات ، من الهجرة في طلـــب العلـــم خارج الجزائر، فقصد بعضهم الأزهـــر أو الحجاز أو الشام ، وقصد بعضهم الآخـــر تونس أو المغرب الأقصى ، وقد استطاعوا بعزيمتهم ووفائهم للغة العربية أن ينـــالوا حظًا وافرًا منها ، وأن يرجعوا إلى بلادهم مدرسين ومستنهضين .كان عدد هـــؤلاء في القرن الماضي قليلاً جدًّا ، ومعظمهم لم يجدوا المجال الحر فتوظفـــوا عنـــد الإدارة الاستعمارية في دوائـــر القضـــاء، أو في المدارس الثلاث الرسميـــة، أو في بعـــض المساجد ، ومنهم : الطيب بن المختـــار (القضاء) ، ومحمد الزجاي (التدريـــس في المدرسة) ، ومحمد الصـــالح بـــن مـــهنا (مدرس بالجامع) وعبد القادر المجـــاوي (المدرسة). فقد أكمل الأول دراســـته في الشام، وأكملها الثاني والثالث في الأزهر،

وأتم الرابع دراسته في القرويين .

ولكن عدد المهاجرين لطلب العلم ازداد مع حركة الجامعة الإسلامية بين أوائل هذا القرن وبوادر النهضة في الجزائر عشية الحرب العالمية الأولى . وهكذا توجه الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى الزيتونة بتونس سنة ١٩٠٨م . وحسب إحصاء يرجع إلى ١٩١٦م كان عدد الطلبة الجزائريين في الأزهر حوالي عشرين طالبا ، ولعل ضعف هذا العدد كان يدرس بجامع الزيتونة. ومهما كان الأمر فإن فترة العشرينيات والأربعينيات شهدت أفواجًا من الطلبة الذين توجهوا إلى الزيتونة والقرويين، رغم أن الإدارة هناك كانت فرنسية ، وكان أغلب هؤلاء من الطلبة الفقراء . ومن أبرز من رجع منهم إلى الجزائر وتولى الدفاع عن اللغة العربية ونشرها، نذكر الشيخ العربي التبسي (الأزهر) ، والمولود الحافظي (الأزهر)، ومحمد العيد (الزيتونة) ، وسعيد الزاهري (الزيتونة) ، والهادي السنوسي (الزيتونة) وغيرهم . وقد تدعمت هذه الفئة برجوع كوكبة من الشيوخ الذين عاشوا في المشرق فترة طويلة كمهاجرين مثل الشيخ الطيب العقبي،والشيخ البشير الإبراهيمي، وأحمد رضا حوحو ، أو كموظفين مثل الشيخ أبي يعلى الزواوي . وكان معظم هؤلاء قد أنتجوا أيضا أدبًا وشعرًا وتأليفًا وخطابة باللغة العربية .

٤- وقد استفادت اللغة العربية من ظهور الحركة الإصلاحية ولاسيما (جمعية المسلمين الجزائريين) التي ولدت سنة ١٩٣١م. وكان مجال الاستفادة متعدد الجوانب، ويمكننا أن نتحدث عن خمسة مجالات :

أ ـ فتح المدارس الحرة (غير الحكومية) لتعليم اللغة العربية لآلاف من أطفال الجزائر،وكانت هذه المدارس معبأة بمدرسين،معظمهم تخرجوا من جامع الزيتونة أو كانوا من تلاميذ الشيخ ابن باديس . وكانت هذه المدارس تبنى من تبرعات الشعب.وكانت وظيفة جمعية العلماء هي توفير المعلمين والكتب والمناهج .

ب. مطالبة الإدارة الفرنسية بـــالاعتراف باللغة العربية لغـــة رسميـــة ومـــن ثمـــة الاعتراف بصحافتها والكتابـــة بهـــا في الدوائر الرسمية وفي المحاكم ... (وكـــان القانون الفرنسي يعامل الصحافة العربيـــة معاملة الصحف الأجنبية) .

ج - نشر العربية عن طريق دروس الوعظ والإرشاد في المساجد الحرة ، وفي النوادي التابعة للجمعية ، وفي الأنشطة الأدبية التي يقوم بها التلاميذ كالخطابـــة والتمثيـــل المسرحي والعروض الكشفية التي كـــانوا يقدمونها للجمهور .

د - إحياء التراث العربي الإسلامي عـــن طريق التعليم المدرسي ، والبرامج والكتب المقررة ، والسلوك والتوجيه ، والكتابـات الصحفية والخطب في مختلف المناســـبات باللغة العربية الفصحى ، والحـــث علـــى الاشتراك في المجالات العربيـــة ومتابعـــة الأحداث الأدبية والثقافية في البلاد العربية (أو الشرق كما كان الاستعمال الشائع).

هـ - كتابـــة تـــاريخ الجزائـــر قديمًـــا وحديثًا، وبعث الهوية الوطنية التي تعتمـــد على الأعمدة الثلاثة: الجزائر، والإســلام ، واللغة العربية، والاعتزاز بذلك التـــاريخ ، والدخول في الرد على من كان يزعـــم أن "الأمة " الجزائرية غير موجودة في التاريخ، أو كان يطالب بالاندمـــاج في المجتمـــع والثقافة الفرنسي .

فهذه المجالات الخمسة هي التي جعلت اللغة العربية في الجزائر تنهض من جديـــد وتستعيد مكانتها ، ويتصـــل حاضرهـــا بماضيها، وقد نشأ جيل كامل على هـــذه الهوية الجديدة، وأخذ يستعد ، بناء علـــى ذلك ، لاستعادة الهوية والحرية بالســـلاح وليس بالشكاوى والعرائض. ويمكننـــا أن نقول:إنه لولا هذه الأرضية ما اســتطاعت الأحزاب السياسية أن تنطلق في برنامجـــها التحرري . بما في ذلـــك تفجـــير ثـــورة ١٩٥٤م .

إن الناس قد عرفوا الكثير عن كفاح الجزائر السياسي وثوراتها خلال الاحتلال، ولكنهم لم يعرفوا إلا القليل ، أو لم يعرفوا أبدًا ، عن كفاح اللغة العربية ورجالها من أجل البقاء ، ولقد ساوى الفرنســيون في

إهمال التعليم عموما - عربيًا وفرنسيًا - فكانت الأمية سائدة بين جميع الجزائريين، وحين خطط الفرنسيون لإخراج "نخبة" لغتها فرنسية وهدفها الاندماج في الثقافة والمجتمع الفرنسي ، وجدوا الحركة الإصلاحية قد أخذت تحتل الساحة وتمنع " النخبة " من التحدث باسم " الأمة " الجزائرية .

ومن الملفت للنظر أن " النخبة " لم تبدأ بالإنتاج الأجنبي " المكتوب بالفرنسية" بداية حقيقية إلا في أوائل الخمسينيات كما أشرنا، ولكن أدبيات الحركة الإصلاحية - لغة وشعرًا وثقافة وتأليفًا وخطابة -كانت قد انطلقت منذ العشرينيات . فظهرت كتب من أمثال (شعراء الجزائر) للسنوسي سنة ١٩٢٦م ، و(تقويم الأخلاق) للحلالي ١٩٢٧م ، و(كتاب الجزائر) للمدني سنة ١٩٣١م ، وتاريخ الجزائر للميلي ، ١٩٢٩م ، و(الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير) للزاهري أوائل الثلاثينيات. وكانت مجلة الشهاب ومقالات ابن باديس فيها ، وجريدة البصائر، وجرائد أبي اليقظان ، وشعر محمد العيد تملأ الساحة . فلم تستطع النخبة الاندماجية أن تجد لها موضع قدم بين الشباب الجزائري الذي كان في أغلبه أميًا أو متعلمًا على يد الحركة الإصلاحية. يضاف إلى ذلك أن المبدعين باللغة الفرنسية من الجزائر قد نشروا مؤلفاتهم في فرنسا في معظم الأحيان . وكانوا يكتبون للجمهور الفرنسي وليس للجمهور الجزائري لأنه لا يقرأ الفرنسية، وكان إنتاجهم قد اقتصر على الرواية والشعر والمقالة - باستثناء قلة كتبت عن الفكر الحضاري مثل مالك ابن نبي والاهتمام بالتاريخ مثل شريف ساحلي (وكلاهما غير اندماجي) . وقد التف معظم الجزائريين الذين كتبوا بالفرنسية حول الفكر اليساري الفرنسي. فابتعدوا عن الهوية الوطنية بالدعوة إلى الاندماج أو بالتذبذب ، والإيمان بالأمية والعلمانية .

وفي الطرف المقابل كان مثقفو اللغة العربية يلتفون في معظمهم حول جمعية

العلماء، وكانت جريدة البصـــائر الـــتي عادت إلى الظهور سنة ١٩٤٧م، لا تعـبر فقط عن توجهات المشروع الإصلاحـــي لجمعية العلماء، ولكـها كانت تعبر أيضًـا عن مدرسة أدبية وكانت مضمارًا للدفاع عن اللغة العربية. فظهرت أثنـــاء ذلـــك (١٩٤٧- ١٩٥٦م) مقالات الشـــيخ محمد البشير الإبراهيمي التي جمعها فيمـــا بعد في كتاب تحـــت عنـــوان (عيـــون البصائر)، وقصائد لشعراء مجلّـــين مـــن أمثال: مفدى زكريـــا، وعبـــد الكـــريم العقون، والأخضر الســـائحي، والربيـــع بوشامة، وأحمد سحنون، كمـــا اســـتمر محمد العيد في نشر إنتاجه فيها. فلو نظـــر الفاحص إلى الجزائر "الفرنسية " ممثلـــة في النخبة الاندماجية والصحف التي يصدرها المستوطنون وهـــي كثـــيرة، والســـينما والمسارح والقوانين، لخرج برأي قـــاطع وهو أن الجزائر قد ضاعت فعـــلاً علـــى الإسلام والعربية. ولكنه إذا تأمل في التيار الجديد بشبابه الدارس في مدارس جمعيـــة العلماء أو المهـــاجر لطلـــب العلـــم في المعاهد الإسلامية والجامعـــات العربيـــة، وتأمل في الصحافة العربية - رغـــم قلـــة إمكاناتها - وحركة التأليف (صـــدرت مجموعات عربية من القصص والروايـــات والمســـرحيات بـــين ١٩٤٧- ١٩٥٤م) والمنافسة المسرحية، فإنه سيخرج بـــرأي آخر، وهو أن الجزائر كـــانت تســـتعيد هويتها العربية الإسلامية في عزم وثبات.

وقد شجعت الثـــورة (١٩٥٤ - ١٩٦٢م) عملية التعريب، فكان حدوثها في حد ذاته ضربة قوية للفرنسة وللنخبـــة الاندماجية. وقد رسخت الثـــورة مبـــدأ الهوية الإسلامية العربية، وشجعت علـــى استعمال اللغة العربية في معاملات الثـــوار مع المواطنين، وكان القضـــاء بالعربيـــة، والأناشيد بالعربية، فكـــان الجزائريـــون يتغنون جماعيًا لأول مرة بالأناشيد الوطنية التي تتحدث عن الجزائر العربية المســـلمة وعن التراث وتاريخ المقاومة. وراجـــت الأغاني الثورية والأناشيد الجماعية الـــتي كانت تذاع من محطة صـــوت العـــرب بالقاهرة، وغيرها من المحطات الموجهة إلى

الشعب الجزائريّ، وكـــان الشـــباب في أعماق الجزائر يتغنون ببعـــض هـــذه الأغاني والأناشيد، كما أن صوت المذيـع المعروف عيسى مسعودي كـــان يـهز المشاعر ويلهب العواطف، وهو يتحـدث عن إنجازات الثورة. لقد كانت الثـــورة حدثًا انقلابيا، وأنا هنا أتحدث عن الجانب اللغوي والفكري منها فقط.

ولكن ذلك الانقلاب قد فشل مع الاستقلال في مواصلة اندفاعه إلى نهايتـه فيما يخص التعريب ، كانت الأمية منتشرة في الشعب الجزائري بنسبة تتجاوز ٩٠% ، وكان من الممكن أن تنطلق الجزائـــر في مشروع التعريب انطلاقة عملاقة لعـــدة ظروف مواتية: الحماس الشعبي المنقطـــع النظير، واستعداد البلاد العربية للمســـاهمة بسخاء في الوسائل البشرية والمادية لإنجاح المشروع. ولكن ظروفًا أخرى غير مواتيـة تغلبت، منها: اتفاقيات إيفيان التي نصـت على " التعاون الثقافي" مع الدولـــة الـــتي كانت بالأمس مستعمرة، ويستلزم ذلـــك ارتباطات أخرى اجتماعية واقتصاديـــة، وارتباطات أخرى في ميدان التكنولوجيـا والأعلام، ومنها أن القيادة ســـقطت في أيدي غير الأيدي التي كونتـــها الحركـــة الإصلاحية ، بل أن القيادة الجديدة رفعت شعار أيديولوجية غريبة عن البلاد باســـم " الثورية والتقدمية والعلمية". وبـــالطبع اتجهت هذه القيادة نحو أوربـــا لا نحـــو الشرق العربي والإسلامي. وهناك شـــعار آخر رفع عندئـــذٍ وهو أن رفع الأميّـــة يمكن أن يتم بأية لغة، وليس بـــالضرورة بالعربية فقط، وأن تعلم اللغة الفرنســية لا يتناقض مع الوطنية.

فكـــانت النتيجـــة بقـــاء الإدارة فرنسية اللغة، وكذلك الأعلام، والمحيـــط العام، فإلى وقت قريب كـــانت أسمـــاء الشوارع في الجزائر ما تزال تحمل أسمـــاء ضباط فرنسيين ساهموا في إبادة الشـــعب الجزائري. ولقد كانت القيادة تتهرب إلى الأمام، فكانت تتحـــدث عـــن التقـــدم التكنولوجـــي والعلمـــي والاقتصـــادي، وتسكت عن المسألة اللغويـــة. وإذا مـــا كانت تثيرها فإنما لكي تربطها بوعـــود

بعيدة مثل صدور مرسوم يجبر معرفة مبادئ العربية للموظفين بعد كذا سنة. فيتقاعس المتقاعسون ويتآمر المتآمرون، فإذا جاء الموعد المحدد تخلص المعنيون بالمرسوم بطرق ملتوية من الإلزام ، ويبقى الوضع كما كان. كما أن مسألة التعريب لم يكن ينظر إليها على أنها مسألة سيادة ، وإنما فقط على أنها مسألة كمالية تتحقق عندما تسمح الظروف والوسائل؟ وقد قال لي أحدهم خلال السبعينيات : يجب أن يكون للعربية مختبرات كالتي تتوافر للإنجليزية، وعندئذٍ سنتعلمها. وكان المعنيون يمتصون غضب أنصار التعريب برمي الكرة في شباكهم، فإذا تحركوا ضربوهم أو حاكموهم، أو طلبوا منهم عقد الندوات والمؤتمرات حول التعريب لإشعالهم وللاستهلاك المحلي أيضًا، كأن المسألة لا تعني فئة معينة من المجتمع. أما الفئات الأخرى فقد كانت منشغلة بما هو أهم من التعريب في نظر المعنيين بالأمر، وهو البناء الاقتصادي (بالفرنسية طبعًا).

ولقد صدرت كتابات عديدة حول مسألة التعريب منذُ السبعينيات. بعضها كتابات وصفية تقريرية، وبعضها كتابات نقدية جزئية. وهناك أيضًا الكتابات التبريرية، وقد اشتغلت لجان عديدة بالموضوع وصدرت التوصيات واللوائح. وضحى العديد بأوقاتهم وسمعتهم لكي يروا تعميم العربية يتحقق . وكان الآخرون يستعملون الفرنسية بدون انزعاج، ولهم مؤلفاتهم وصحفهم وجوائزهم بالفرنسية، ولهم نواديهم ومعاملاتهم المادية والمعنوية، فهم المحظوظون والمدللون في الدولة. فإذا شعروا أن اللغة العربية قد نافست الفرنسية في الإعلام، أو في أوراق رسمية ، أو في المدارس، غضبوا وكتبوا محتجين على الذين يريدون أن يخرجوهم من وظائفهم ويرجعوهم إلى " العصور الوسطى " ويفرضوا عليهم لغة ميتة لا يمكنها أن تستوعب التكنولوجيا والعلوم الحديثة، في حين أن البلاد في نظرهم في معركة ضد التخلف ولابد لها أن تعتمد على اللغة الفرنسية لغة العلم

والتكنولوجيا، فإذا حوصروا وضعفت حجتهم تحركت فرنسا نفسها ، بوسائلها المختلفة،وتحدث كتابها عن كون الفرنسية هي الحل الوسط بين العربية والبربرية، ولابُد للجزائريين من لغة مشتركة، وهي ليست إلا الفرنسية. وعندما تنتهي حدة التوتر تتأخر العربية رغم أن دستور البلاد يقول عنها:إنها هي اللغة الوطنية والرسمية.

لقد كتبت نخبة من الجيل المعاصر عن التعريب واقترحوا حلولاً بناءةً [1] منهم الدكتور سعدي عثمان، والدكتور عبد الله الركيبي والدكتور أحمد بن نعمان،وتأسست جمعية الدفاع عن اللغة العربية فكانت تضم عناصر فعالة تحس بمسؤولياتها التاريخية إزاء لغة القرآن والبيان وإزاء الهوية الوطنية. وقد تحمل أعضاؤها الرَّهق والعنت، سهروا الليالي وضحوا بالراحة والأهل. ولكن العراقيل ما تزال تقف في وجوههم، فبالإضافة إلى القوة الفرنكفونية واللامبالاة لدى المسؤولين، ظهرت جمعية تدعى الدفاع عن البربرية التي أصبحت تسمى عندهم اعتباطًا الأمازيغية. وحاول المعرقلون أن يجعلوا البربرية ضرة للعربية، وأن يحدثوا الفتنة بينهما، لكي تبقى اللغة الفرنسية هي " لغة السيادة " كما كانت في عهد الاحتلال ، وقد شرع المشرع قانونًا يجعل العربية لغة التعامل إجباريًا ابتداءً من صيف ١٩٩٢م، ولكن المصطادين في الماء العكر أجَّلُوا تطبيق هذا القانون، وقد سمعنا في الأشهر الأخيرة أن القانون المذكور قد أعيدت له الحياة من جديد، ولكن التجارب السابقة تجعلنا نشك في تطبيقه لأن الأيدي الخفية قادرة على تأجيله أو إلغائه في الوقت المناسب.

ويظهر لبعض الملاحظين أن إحياء ذلك القانون يعود إلى مسألة استراتيجية. فقد ظهرت معزوفات في السنوات الخيرة تقول: إن هناك تلازمًا بين التعريب والحركات الإسلامية، وإن المدرسة المعربة هي التي أنتجت جيلاً من الإسلاميين. ودعا البعض إلى فرنسة المدرسة من

---

(١) انظر مجلة (المنهل) ٤٨٢ (أغسطس ١٩٩٠م) . فقد اشتركت مجموعة من الجزائريين المهتمين بقضية التعريب. في ندوة مفصلة غطت جوانب القضية.

جديد، ودعا آخرون إلى تجريد البرامج المدرسية من المواد الدينية ، ولكن المدرسة لم تمس حتى الآن، وظلت تخرج آلاف التلاميذ الدارسين بالعربية والمتشبعين بالروح الإسلامية. فلعل الرجوع إلى قانون ١٩٩٢م يعني استرضاء شرائح عريضة في المجتمع تتعاطف مع الحركات الإسلامية وإبعادهم عنها في النهاية. ومهما كان الأمر فإن التعريب يظل مسألة بين الشد والجذب، و لم يُتخذ بشأنه، رغم مرور قرابة أربعين سنة على الاستقلال، موقفٌ حاسمٌ تحدد على أساسه هوية الوطن ومصير البلاد.

ويمكننا أن نقول: إن المدرسة تظل مهددة بعودة الفرنسية ، ولا يمنع من ذلك الآن إلا عدم الاستقرار الذي تعرفه البلاد. وربما يرجع ذلك إلى الافتقار إلى الإطارات الكافية في الفرنسية. والأكيد هو أن القناعة السياسية والفكرية من أجل التعريب مفقودة. ولذلك تظل مسيرة التعريب اللغوي والفكري غير مستقرة وفي حالة خطر، ثم أن ارتباط الفرنسية بالعلمانية وارتباط العربية بالإسلام يفسر تفسيراً خاصًا في ضوء الأحداث الجارية ، وكل طرف في النزاع يعطيه التفسير الذي يتلاءم مع وجهة نظره. وهذه من النقاط غير الواضحة للقارئ العربي المتتبع لأحداث الجزائر، ولكن الأوربيين والعلمانيين الجزائريين يفهمون ذلك الترابط والتلازم جيداً. أما بالنسبة للفرنسيين فالمسألة قبل كل شيء مسألة نجاح الفرنكفونية التي تعني أيضًا نجاح العلمانية في الجزائر.

وإذا صح ذلك فإن مفاهيم جديدة ستطفو على سطح الحياة الفكرية خلال السنوات الخمسين القادمة بالجزائر . فمنذُ الفتح الإسلامي كانت اللغة العربية هي وسيلة نشر الإسلام والوعاء الحافظ لتراثه، بقطع النظر عن النظم السياسية والدول التي تعاقب. وقد بقي هذا التلازم بين الإسلام والعربية قويًّا خلال العهد الاستعماري،كما أوضحنا،وكانت الثورة الجزائرية قد جسدت ذلك في الميدان، ومنذُ الاستقلال ظهر الفصل بين الإسلام

والعربية، وظهر أيضًا التخلي التدريجي عن كل منهما.

ومن ثم تمركزت الفئات الفرنكفونية في مختلف المصالح في الدولة. واحتكرت الوظائف وسدت الطريق أمام " المعربين" وهكذا تهمَّشَت اللغة العربية كما تهمش الإسلام.

إن هذا التحليل لا يعني أن مسيرة التعريب لم تحقق إنجازات. فقد قطعت أشواطًا في ميادين التعليم والإعلام والمحيط. ولكن المسيرة ما يزال طريقها غير آمن لأنها غير عامة وغير محمية بقوانين ثابتة وممارسات عملية. فهي ما تزال خاضعة للرغبات الشخصية والمناورات السياسية والضغوطات الخارجية (مثلاً عند تطبيق قانون ١٩٩٢م نشرت الصحف أن الشركات الأجنبية قد اشتكت من أنها لا تملك الوسائل والمترجمين لتطبيق القانون المذكور). ومن ثم نرى أن أمام الشعب الجزائري ومناصريه من العرب طريقًا طويلاً وشاقًا لإنجاح مسيرة التعريب.

أبو القاسم سعد الله

عضو المجمع المراسل من الجزائر